
قصص للناشئة
أليس
في بلد العجائب
لويس كارول
مكتبة المعارف
بيروت
قصص للناشئة

مكتبة المعارف
بيروت

بيروت - لبنان





قصص للناشئة

أليس
في بلاد العجائب

لويس كارول

ترجمة واعداد لجنة من المتخصصين

مكتبة المعارف
بيروت



أليس وبعض أصدقائها

قصص للناشئة

هذه المجموعة هي من القصص العالمية المختارة تقوم باعدادها وترجمتها واقتباسها لجنة من الجامعيين المتخصصين في هذا المجال باشراف الناشر

— أليس في بلاد العجائب	لويس كارول
— جزيرة الكنز	ر . ل . ستيفنسون
— تاجر البندقية	شارل شكسبير
— جلفر	جوناثان سويفت
— روبنسون كروزو	ر ل. ستيفنسون
— قصة مدينتين	تشارلز ديكنز
— تراس بولبا بطل القوزاق	نيقولا غوغول
— مرتفعات وذرينغ ـ الحزن العميق	شارلوت برونتي
— ذهب مع الريح	مرغريت ميتشل
— الأرض الطيبة	بيرل باك
— جين إير	شارلوت برونتي
— دايفيد كوبرفيلد	شارلز ديكنز
— روبن هود	عن ولت ديزني ـ ميشال وست

١

وكر الارانب

بدأتْ « أليس » تشعر بالملَل بعد أن طالَ جلُوسِها إلى جانب شقيقتِها على ضفَّة النهر ، دون أن تقومَ بعملٍ ما . كانت تنظر أحياناً إلى الكتاب الذي تحمله شقيقتُها لِتطالع فيه ، وكان الكتابُ خالياً من الصورَ والحكايات المسلِّية .

وقالت أليس لنفسها : وما فائدةُ كتابٍ لا يحتوي على صور أو حكايات ؟ إنه مملٌّ متعب .

كان ذلك النهار شديدَ الحرارة ، مما جعل أليس تشعر بالكسل ، ويأخُذها نعاسٌ شديد . لذا كان تُجهد فِكرها وتتساءل : تُرى هل أن السعادةَ التي ستشعرُ بها إذا ما قامت وأخذت تلتقطُ الأزهارَ وتجمعها في عقودٍ ، توازي مشقّةَ النهوض لجمع تلك الأزهار ؟ إنها لا تظن ذلك .

وبينما هي غارقةٌ في تفكيرها إذْ بأرنب أبيضَ له عينان

زرقاوان يمرّ مسرعاً بجانبها . آه ! يا له من أرنبٍ جميل !

لَم يكنْ مرورُ الأرنب في حدِّ ذاته شيئاً جديداً بالنسبة إلى أليس ، فكثيراً ما رأته يقفزُ على العشْب في البستان . . ولكنّها عندما سمعتْه يحدّث نفسه قائلاً : « آه ! آه ! لقد تأخرتُ كثيراً » بدأتْ تتابعه بنظراتها وهي ترى في ذلك شيئاً غير عادي .

يا الله . . . ما هذا !! ها هو الأرنب يُخرِج ساعةً من جيب سترةٍ كان يرتديها ! وها هو ينظر إليها ليعرفَ الوقت . . ثم يواصلُ سيره مسرعاً . إن ذلك لشيءٌ عجيب حقاً .

منذ متى كانت الأرانب تحمل الساعاتَ وترتدي السُّترات ؟

وبحركةً لا شُعورية[1] نهضتْ أليس من مكانها وأسرعت تلحقُ بالأرنب . كان الأرنب يسير مسرعاً في طريقه إلى الحقل . فتبعته أليس وهي تشعر بفُضولٍ كبير. إنها تريد معرفةَ قِصّته . وكيف لا تفعل ! إنها لم يسبق لها أن رأت أرنباً يرتدي سترةً ويحمل ساعة من قبل !! وهكذا واصلت جَرْيَها خلف الأرنب إلى أن لحقت به ورأته يدخل وكرا

(١) عفوية ـ بغير قصد .



أليس والأرنب . . يرتدي سترة ويحمل ساعة !!

(جُحْراً) للأرانب كان تحت مجموعةٍ من الأعشاب .

هناك وقفتْ أليس . . ثم إنها تحرّكت إلى الأمام . لقد دخلت خلف الأرنب إلى الوكر دون تردُّد ، بل حتى قبل أن تفكر في الطريقة التي ستمكّنها من الخروج من ذلك الجُحْر الصغير فيما بعد .

كان الجُحْر يتّجه بشكلٍ مستقيم إلى الأمام ، مسافةً قصيرة ، ثم ينحدر بشكلٍ مفاجىء إلى أسفل ، حتى إن أليس ، التي كانت مندفعةً بسرعةٍ إلى الأمام ، لم تتمكّن من إيقاف اندفاعها في الوقت المناسب . وسُرعان ما وجدت نفسَها تسقطُ داخل بئرٍ شديد العمق .

وصرخت أليس . . لقد شعرتْ بالخوف وهي وتَهوي[1] إلى الأعماق : وتمتمت : يا إلهي ، أَنقذني ، أنقذْني .

وأحسّت أليس وهي تسبح في الهواء أنه كان لديها الكثيرُ من الوقت . . فأخذت تحاول أن تكتشفَ ما حولها . وقد تَبادرَ إلى ذهنها واحدٌ من اثنين : إما أن يكون هذا البئر شديدَ العمق ، أو أن سقوطها في داخلها كان بطيئاً جداً .

والآن ، ماذا سيحدث لها بعد ذلك ؟

(١) تسقط .

هذا ما أخذت تفكّر به . لقد حاولتْ النظرَ إلى أسفلَ لتتبيّنَ ما سوف تتعرّضُ له عند ارتطامها بالقاع . ولكن ظُلْمةَ البئر لم تمكّنها من رؤ ية شيء عندئذٍ أخذت تنظر إلى الجدران ، فلاحظت أنها كانت مغطّاةً بالخزائن ورفوف الكتب ! وهذا شيءٌ عجيب . هل هناك علماءٌ بين الأرانب !

هنا وهنالك كانت أليس ترى الخرائطَ والصور المعلّقة وهي تملأ المكان . إن هذا لشيءٌ غريب حقاً . . أفي مثل هذا المكانِ توجد مثلُ هذه الصورَ الجميلة ! يا الله ما أعجبَ هذا ! وهل أعجبُ من أرنبٍ عالمٍ في الجغرافيا ! وآخرَ يُتْقِن رسْمَ الخرائط ! وربما كان الثالث فلكياً يرصدُ النجوم ! لكن ، أين النجوم في قاع الجُحْر !

وتناولت أليس زجاجةً من فوقِ أحد الرفوف أثناء هبوطها ، وكان على الزجاجة ورقةٌ ملصقَةٌ قرأت أليس عليها كلمة « مربّى البرتقال » . وودّت أليس أن تأكل . . ولكن ، لسوء حظّها أنها وجدت الزجاجةَ فارغة . ولم تُرِدْ أن تقذف بالزجاجة إلى أسفل خوفاً من إصابة أحدٍ ما يكون في قاع البئر ، فاحتفظت بها حتى وضعتْها داخل

إحدى الخزائن التي سقطت بجانبها آخر الأمر .

وظلّت أليس تهوي سُفُلاً . . وقد أخذت تحدِّث نفسها قائلة : « الآنَ وبعد سقطةٍ كهذه ، لن أهتم إذا ما سقطتُ من فوق دَرَج البيت ! سوف يقول أهلي إنني شجاعة جداً ! وسوف يحاولون اكتشاف السِّر ، ولكنني لن أبوحَ بشيءٍ مما حدث لي ، ولو سقطتُ من فوق سّطح البيت » .

تواصلَ سقوط أليس إلى أسفل ، وأسفل . وقالت في نفسها :

ـ آه يا إلهي ! أما مِن نهايةٍ لهذا السقوط ؟ إنني لأعجبُ كم هو عددُ الأميال التي قطعتُها حتى الآن وأنا في سُقوطي هذا ؟ يجب أن أكون قد وصلتُ إلى مكانٍ ما في باطن الأرض ، كما أعتقد .

كانت أليس فتاةً ذكية ، وقد تعلّمتْ أشياءَ كثيرةً أثناء دراستها في المدرسة . ومع أن هذه اللحظة لم تكن مناسِبةً لكي تكشفَ أليس فيها عن ذكائها ، ومع أنه لم يكن هناك أحدُ ليستمِعَ إليها وهي تردِّد ما كانت قد تعلّمته ـ فإن استعادةَ ما يتعلَّمه التلميذُ من الدروس لهو من الأمور الحسنة .

ولهذا عادت أليس إلى محادثة نفسها ، فقالت :

ـ إنني لأعجبُ فعلاً . . ما هو معنى هذه الكلمات : خطّ العَرْض ، وخط الطول أيضاً .

لم تكن تفهم معنى هاتَين الكلمتين ، ولكنّها كانت تعتقد أنهما من الكلمات الجميلة جداً . ومن ثم ينبغي تَرْدادُهما كثيراً .

وواصلت أليس مخاطبَةَ نفسها قائلة :

ـ إنني لأعجبُ إلى متى سيستمرُّ سقوطي في باطن هذه الأرض ! كم يكون مسلِّياً إذا ما ظهرتُ بين أُناسٍ يسيرون ورؤ وسُهم إلى أسفل !!

وضحكتْ . كانت مسرورةً في الواقع لعدمِ وجود أحدٍ قريب منها يستمع إلى ما كانت تَتَفَوَّهُ به ، هذه المرّة . فأضافت :

ـ ولكن . . يجب أن أستوضِحَهم عن اسم هذا البلد . هكذا يجبُ أن أُخاطبَهم حين ألقاهم : معذرةً ، أيتها السيدة ، هل هذه هي نيوزيلندة أم استراليا ؟ لكن ، لماذا أسأل أحداً ؟ لن أفعل ذلك . لا بدَّ أن أجدَ الاسم مكتوباً في مكانٍ ما .

لم تكن أليس تستطيع غير متابعةِ انحدارها ، ولا شيء غير ذلك . لهذا عادت تخاطبُ نفسها ثانية :

ـ سوف تفتقدُني قِطتي العزيزة « دنيا » كثيراً هذه الليلة ، كما أعتقد . أرجو أن يتذكّروها في البيت ويقدِّموا لها كأساً من الحليب وقتَ تناوُلِ الشاي .

دنيا ! يا صديقتي العزيزة ، لَيْتكِ كنتِ معي هنا الآن ! لا يوجد هنا فئران كما يبدو وقد تجوعين . كذلك أنا أخشى عليكِ من الوطواط ، هل تعرفينه يا دنيا ؟ إنه يشبه الفأرَ كثيراً ، لو تعلمين . ولكن قولي لي : هل تأكل القططُ ، الوطواط ؟

وهنا بدأت أليس تشعر بنُعاسٍ شديد ، ولكنها واصلت مخاطِبَةَ نفسِها وهي نصف نائمة . « هل تأكل القطط ، الوطواط ؟ هل تأكل القطط ، الوطواط ؟ » وأحيانا كانت تردِّد ، هل يأكل الوطواط ، القطط ؟ هل الوطواط ، القطط ؟

ولمّا لم تكن قادرةً على الإجابة على كلا السؤالين ، لم تكن الطريقةُ التي وضعت بها أليس هذه الأسئلةَ ذات أهميّة . فالوطواطُ أو القط لن يُشاورَها في طعامه . وليس

عندها الآنَ لا قِطٌّ ولا وطواط .

وأخذت أليس تغفو ، ثم بدأت تحلمُ بأنها كانت تسيرُ مع قطتها « دنيا » يداً بيد ، فيما هي تحدِّثها بشوقٍ كبير وتقول لها : « قولي الحقيقةَ الآن يا دنيا ! هل أكلتِ وطواطاً في يوم من الأيام ؟ » . وفجأةً ، شعرتْ أليس بنفسها تسقط فوق كَومةٍ من الأغصان الجافة ، وبذلك انتهت مغامرةُ سقوطها الطويلة .

ما أجملَ سقوطَ الأطفال ! ها هي أليس لم تُصَبْ بأية أضرارٍ نتيجةً لسقوطها . لقد نهضت واقفةً على رِجليها على الفور . ونظرت فيما حولها ، ولكنها لم تَرَ شيئاً . كان المكانُ فوق رأسها مظلماً ، ولم تتمكن من تِبيان[1] شيء . . بلى ، كان هناك أمامها ممرٌّ طويل ، وفي ذلك الممرّ الطويلِ كان الأرنبُ الأبيض لم يزلْ بادياً للعيان . . ها هو يسير مسرعاً في الممر .

لم يكن لدى أليس لحظةٌ واحدةٌ تضيّعها ، فأسرعت تركضُ خَلْفَ الأرنب . وقد وصلت في الوقت المناسب فسمعتْه وهو يقول : « آه يا أُذنيَّ الطويلتين وشواربي

(١) ترى بوضوح ـ استيضاح .

الكثيفة . كم أصبحَ الوقت متأخراً ! » .

هذا ما كان يقوله الأرنب . وكانت أليس قد وصلت إلى مكانٍ قريبٍ جداً من مكانه عندما دارَ حول الزاوية ، لكنها فقدت أثرَه ولم تعُدْ تراه أبداً .

ووجدت أليس نفسَها في بهوٍ (صالون) طويل ، لهُ سقفٌ منخفض ، وكان هذا البهو مُضاءٌ بصفٍّ من المصابيح المعلّقةِ في السقف ، لربما علّقتها الأرانب . .

كان هناك أبوابٌ كثيرة منتشرة في حيطان البهو ، ولكنها كانت جميعُها مغلَقة . . وعندما أتمّت أليس جولَتَها على جميع تلك الأبواب محاوِلةً فَتْحَ واحدٍ منها ولم تنجح ـ سارت ببطءٍ في منتصف البهو وهي حزينة ، تفكر كيف ستتمكّن من الخروج من هذا المكان مرةً أخرى . كيف . . !!

وفجأةً وصلت أليس الحزينةُ إلى طاولة صغيرةٍ لها ثلاثُ أرجُل من الزجاج القوي . ونظرت إليها . لم يكن هناك شيء فوق الطاولة سوى مفتاح ذهبي صغير .

وقدّرت أليس أن هذا المفتاح قد يكون خاصاً بأحد الأبواب الموجودةِ في البهو ، فقامت بجولةٍ أخرى على تلك الأبواب ، محاوِلةً فتْح أحدها به . ولم تنجح في ذلك ،

فقالت في نفسها : إما أن يكون المفتاح صغيراً جداً أو تكون الأقفال كبيرةً جداً بالقياس إليه .

على كل حال ، قامت أليس بجولة ثالثةٍ على الأبواب . وفي هذه الجولة وقفت أمام بابٍ واطىء لم تكن لاحظت وُجودَه من قبل . لم يكن يزيد ارتفاع هذا الباب عن الخمسةَ عَشَرَ إنشاً . وأدخلت أليس المفتاحَ الذهبيّ في قُفل هذا الباب وأدارته ، فاستجاب لها القفل بسهولةٍ تامة حتى إنها أخذت ترقص من الفرح .

وهكذا . . فتحت أليس ذلك الباب . ووجدته يؤدي إلى ممرٍ صغير ، ليس أكبرَ من جُحر الفأر . وانحنَت أليس وأخذت تنظر من خلال الممرّ .

ـ آه ! آه ! ماذا أرى هنا ؟

كان ما رأته أليس أجملَ بستانٍ شاهدته في حياتها . وكم كانت تتشوّقُ للخروج من هذا البهو المظلم ، وأن تسير بين هذه الأزهار الجميلة ، والنافوراتِ التي كانتِ المياه تتدفق منها وترشّ تلك الأزهار ! ولكنها ، ويا للأسَفَ ، لم يكن بمقدورها حتى أن تُخرجَ رأسها وحده من خلال هذا الباب ! وحتى لو تمكّنت من إخراج رأسها ،

فكيف تتمكّن من إخراج باقي جسدِها ؟!

هذا ما كانت تفكّر به أليس المسكينة ، وتقول :

ـ آه ، يا إلهي ، كم أرغبُ في أن أتقلَّص ، في أن أصغُرَ كما لو أنني تحت المِجْهَر ! أظنه يمكنني عملُ ذلك إذا علمتُ كيف أبدأ . (وأنتم أيها القرّاء الصغار تعرفون أن كثيراً من الأشياء العجيبة قد حدثت . .) حتى بدأتْ تعتقدُ أنه ليس هناك شيءٌ مستحيل في الحقيقة .

وبدا لِأليس أنه لا فائدةَ تُرتَجى من بقائها واقفةً أمام ذلك الباب فعادت أدراجَها إلى البهو ، وإلى حيثُ كانت تقف طاولة . هناك كانت تأمُل في أن تتمكن من العثور على مفتاحٍ آخرَ فوقِ الطاولة ، أو تجدَ على الأقلّ كتاباً يشير إلى الطريقة التي يمكن للإنسان بها أن ينكمش على نفسه ويُصَغِّر حجمه إلى درجةٍ كبيرة .

وقد عَثَرت أليس هذه المرّة على زجاجةٍ صغيرةٍ موضوعةٍ على الطاولة ، لم تكن موجودةً هناك من قبل . . ونظرت الفتاة الى الزجاجة ، فوجدت ورقةً مربوطة إلى عنقها ، وعليها هذه الكلمات « إشربيني » . وكانت الكلمة مطبوعةً بأحرفٍ جميلة كبيرة .

إن هذا شيءٌ حسن ! « اشربيني » ! !

ولكنّ أليس الذكيّةَ لم تكن راغبةً في أن تشربَ ما في تلك الزجاجة على الفور . . لقد فكّرتْ : « لا ، أبداً ، سوف أرى أولاً ، سوف أرى إذا كانت هناك كلمة « سُم » مكتوبة على الزجاجة أم لا » .

وكانت أليس تتذكر أنها قرأت عدداً من القِصَص الصغيرةِ الحلوةِ عن أطفال أُصيبوا بحروق . . أو أكلتْهم حيواناتٌ مفترسة ، وأشياء كثيرة أخرى غير سارة ـ كلّ ذلك بسبب عدم تمسُّكِهم بالقوانين البسيطة التي كان آباؤهم قد علّموهم إياها ، مثل :

إن قطعةَ حديدٍ حامِية يمكن أن تحرق يدك إذا ما التقطتَها وهي ساخنة . أو :

إذا ما جرحتَ يدك جرحاً بليغاً بالسكّين ، فإن هذا الجرح قد يسبِّب لك نزيفاً .

لم تكن أليس قد نسيت ذلك ، وكانت تعلم أن مَنْ يتجرَّع الكثيرَ من محتويات زجاجةٍ مؤشَّرٍ عليها كلمة « سم » يسبِّب لنفسه الآلام ، بل يعاني الموتَ في أكثر الأحيان .

وعلى أية حال . . لم يكن على هذه الزجاجة ما يشيرُ إلى احتمالِ وجود « السم » فيها . وهكذا ، تجرّأت أليس على تذوُّقِ ما تحتويه ، فوجدت له طعماً لذيذاً جداً ، كان في الواقع طَعْمَ الخبزِ المحمَّص المَمزوج بالزبدة ، القهوة ، لحم ديك الحبش المحمَّر ، والحليب المجفف فيما لو خُلطتْ كل هذه معاً . وسرَّ ذلك أليس ، على الفور .

وما أن انتهت أليس من الشُّرب حتى أحسَّت بشعورٍ غريب . وقالت في نفسها عند ذلك : ما هذا الشعورُ الغريب الذي أشعر به !؟ إنني آخذةٌ في الصِّغَر ! يا الله ، ما أصغرني !

وبالفعل كان هذا حقيقةَ ما حدث لأليس . لقد أصبح طولها لا يزيد على عشْرة إنشات ! فتهلَّل وجهها فرحاً ، وأيقنت أنها قد أصبحتْ في حجمٍ مناسب يمكّنها من اجتياز البابِ الصغير إلى البستان الجميل .

انتظرت أليس بعض الوقت في البدء ، لترى فيما إذا كانت سَتَصْغُر أكثرَ من ذلك . وقد انتابها شعورٌ بالقلق ، خوفاً من أن ينتهيَ بها الأمرُ إلى الاختفاء كليّةً ، مثلما تذوب الشمعةِ وتزول . وهذا ما كانت أليس تحدِّث به

نفسها وهي واقفة تنتظر ما قد يحدثُ لها بعد ذلك .

بعد فترة قصيرة ، وجدت أليس أن جِسْمَها لم يتغير . . لم يحدُثْ لها شيءُ جديد ، فقرّرت الذهابَ إلى البستان على الفور . ولكن . . يا الله ، إنها لَمسكينةٌ حقاً ! إذ أنها عندما وصلت إلى الباب ، وجدت نفسها قد نسيت المفتاحَ الذهبي الصغير ! ما أسوأ حظَّها ! كيف تنسى المفتاح !

وعادت لالتقاطِه من على الطاولة . يا لَلمِسكينة ! لقد وجدت نفسها غيرَ قادرةٍ على الوصول إلى سطح الطاولة بعد أن أصبح جسمُها ممسوخاً صغيراً ! نعم ! كانت ترى المفتاحَ بكلٍّ وضوحٍ من خلال زجاجِ الطاولة ، وحاولت بكل ما في طاقتها أن تتسلَّق قوائم الطاولة ـ ولكنْ دون جدوى . . وعندما يئستْ من محاولاتها ، جلستِ المسكينةُ وأخذت في البكاء .

ماذا دهاكِ يا أليس ، فالبكاءُ لا يفيد أبداً !

هذا ما خاطبت به أليس نفسها بعد أن هدأت قليلاً وانحسَرت عنها (زايلتْها) نَوْبَةُ البكاء .

واستمـرّت أليس في مخاطبة نفسها قائلة : إنني

أنصحكِ يا أليس بمغادرة هذا المكانِ على الفَور !

كانت أليس تقدِّمُ النصائح لنفسِها بصورةٍ عامة ، وخيراً ما كانت تفعله ! غير أنها ، مع الأسف ، قليلاً ما كانت تستمعُ إلى النصائح لنفسها أو تقوم بتنفيذها ! كانت كثيراً ما تعنِّف نفسَها بشدّة، حتى أنها كانت تقرِصُ أُذنَيْها بيدَيها معبِّرةً عن سَخْطِها على نفسها . كانت هذه الطفلةُ العجيبة مغرمةً بأن تظهر وكأنها شخصان اثنان لا شخصاً واحداً . ولكنّ هذه الظاهرةَ ليست ذاتَ فائدة لها في مِحْنَتِها(١) الحاليّة . بالكاد قد تبقّى منها الآن ما يكفي لصُنْع شخصٍ واحد معقول الحجم .

ووقعت عينا أليس الآنَ على علبة من الزجاج كانت موضوعةً فوق الطاولة ! ففتحتْها على الفور . وقد وجدت قطعةً صغيرةً من الحلوى موضوعةً بداخلها، وكان مكتوبٌ عليها كلمة « كُليني » بأحرفٍ جميلة متناسقة .

« حسناً ! سوف ألتهمُكِ ، فإذا جعلتِني أكبُرُ ، عندئذٍ أتمكّن من الوصول إلى المفتاح ، وإذا صِرتُ أصغرَ مما كنتُ فإنه يمكنني أن أزحف من تحت الباب . وفي كلتا الحالتَين

(١) أزمتها ـ شدتها

يسهُلُ الخروج إلى البستان ، ولا يهمُّني أيهما يحدث لي ! » .

هذا ما قالت أليس لنفسها عند ذاك .

والتهمت أليس قطعةَ الحلوى الصغيرة ، وخاطبت نفسها قائلةً : « أياً منها ؟ أزيدُ أم أنقُصُ ؟ » وكانت تلْمَسُ رأسها ، تتحسّسُ كيف سوف يكونُ التغيير . لقد انتابتْها الدهشةُ عندما وجدت أنَّ شكلَها بقي على ما هو بدونِ تغيير . وهذا ما يحدث عادةً عندما يأكل الواحدُ منا الحلوى ، لكنَّ أليس ، بعد أن جرى لها كلُّ ما سبقَ في هذا العالم العجيب ، صارت تنتظرُ أن يكون كلُّ شيءٍ عجيباً غريباً .

ها قد أخذَ رأسُها يدور . . إنها على وشك أن تتغيّر .

وفي لحظاتٍ قصيرة حَدَثَ كلُّ شيء .



٢

بركة الدموع

أخذتْ أليس تنتظر بلهفةٍ ما سيحدُثُ لها بعد أن التهمت قطعةَ الحلوى بأكملها . وبعد لحظاتٍ وجيزةٍ شعرتْ بأنها تتمدَّد وتكبُر . كانت تكبر وتكبر . . وصرخت أليس : يا إلهي ! ولم تَعُدْ تدري ما تقول .

ونظرتْ إلى نفسها :

يا لَلغرابة ، ما الّذي أصابني ! أين أصبحَت قدماي؟ لقد أصبحتا بعيدتين عني بُعْد السماء عن الأرض، إنهما لم يعودا جزءاً منّي ! لقد غابا عن نظري ولم أعُدْ أراهما . لقد أصبحتا بعيدتين جداً. آه! يا قدميَّ المسكينتَين، إنني لأعجبُ : مَن سيتولّى بعدي إلباسكما الجواربَ والحذاءَ أيتها العزيزتَين ؟ أنا على ثِقةٍ من عدم قُدرتي عملَ ذلك بنفسي ! سوف أكونُ بعيدةً جداً وعاجزةً عن أن أُبديَ أيَّ

اهتمامٍ بكما . يجب عليكما ان تدبِّرا أمورَكما بنفسكما بعد الآن ، ولكنْ ، يجبُ أن أكونَ لطيفةً معكما ، إذ ربما ترفضان أن تسيرا في الطريق التي أرغبُ السَّيْرَ فيها .

هكذا كانت المسكينةُ تفكِّر وهي ترى نفسَها قد تغيّرت : من طفلةٍ صغيرةٍ إلى شخصٍ آخرَ لا يَمُتُّ[1] إلى الأطفالِ بِصِلة .

ثم عادت أليس تخاطبُ نفسها قائلة :

دعني أرى ، آه ! سوف أقدِّم لهما زوجاً جديداً من الأحذية في عيدِ الميلاد . كم يكونُ مضحكاً أن يقوم أيُّ شخص بإرسال الهدايا إلى قدميه ! يا إلهي ، ما هذه السخافاتُ التي أفكر بها !!

في هذه اللحظة شعرتْ أليس أن رأسَها قد اصطدم بالسّقف ! والواقعُ أن طولَها الآن كان قد بلغ اكثرَ من تسعةِ أقدام . . لقد صارت عملاقاً .

وانتهزت أليس فرصتَها الجديدةَ على الفور فأسرعت وتناولت المفتاحَ الذهبي الصغيرَ الذي كان لا يزال موضوعاً فوق الطاولة ، وعادت مسرعةً إلى مَدخلِ البستان .

(١)ليس له علاقة .

مسكينة أليس ! كان كلُّ ما في استطاعتِها عملُه وهي في حالتِها هذه ، هو أن تمدَّدَتْ على الأرض ، وأخذت تنظر من خلال ثُقْبِ الباب بعينٍ واحدة ! لقد كان من المستحيل عليها أن تَمُرَّ من خلاله لتخرُجَ إلى البستان ، ولم يكن لديها أيُّ أملٍ في ذلك .

ماذا بإمكانكِ فعلُه أيتُها المسكينة ؟

جلست أليس مرةً أخرى على الأرض وأخذت في البكاء . لكنّ نفسَها أخذت تحدّثها . وقالت :

ـ يجبُ أن تخجلي أيتها الفتاة . إن بنتاً ذكيةً مثلَكِ لا يليقُ بها البكاء ولا مواصلتُه بهذا الشكل ! توقّفي حالاً ، ومنذ هذه اللحظة ، عن البكاء . إنني آمُرُكِ بهذا !

لكن أليس لم تأبَهْ بما كانت تردّده لنفسها وواصلت البكاء . لقد ذَرَفَت جالوناتٍ وجالونات من الدموع ، حتى تشكّلت من دموعها بِرْكةٌ كبيرة بلغ ارتفاعُها أربَعَةَ إنشات وأغرقت نِصف ساحة البهو .

وهكذا جلست أليس في بركة تشكَّلتْ من دموعها المتساقطة . وبقيت على هذا الحال إلى أن سمِعتْ صوتَ

خطوات تسيرُ على بُعد منها ، فأسرعت وجفَّفت دمُوعَها لتتمكَّنَ من رُؤ ية القادم .

لم يكن هـذا غيرَ الأرنب الأبيض . كـان عائـداً وهو يرتدي الملابسَ الفاخِرة ويحمل قفَّازَين صغيرين أبيضَين بإحدى يَديه ، ومِنَشَّةً في اليد الأخـرى . وتقدَّم أمامها مسرعاً وهو يخبُّ (ينطُّ) في سَيره ، وكـان يخاطب نفسه مُرَدِّداً :

ـ آه ! آه ! الدوقة ، الدوقة ! آه ! أرجو أن لا تكون غاضبةً إذْ أبقيتُها تنتظرُ طويلاً !

وقْتَذاك كانت أليس تشعر باليأس القاتل حتى أضحتْ مستعدَّةً لطلبِ المساعدة من أيِّ شخص . وهكذا ، عندما أصبحَ الأرنبُ قريباً منها بـدأت أليس تتحـدَّث بصـوت منخفض، قائلة :

ـ من فضلِك ، أيها السيد الكريم . . .

ولم تكدْ تكمل كلمـاتِها هـذه ، حتى انتفض الأرنبُ بشدّة وأسقط القفاز والمنشَّة من يدَيْـه إلى الأرض ، وجرى بأقصى سرعةٍ يستطيعها وغابَ في الظُّلمة .



أليس وأمامها الفأر في بركة الدموع

تناولت أليس القفازَ والمنشَّةَ عن الأرض ، وحيث أن الحرارةَ كانت شديدةً في البهو ، فقد أخذت تستعمل المنشَّةَ وكأنها مِروَحة ، فيما هي تواصل مخاطبة نفسها :

ـ يا الله ، يا الله ، كم هو غريبٌ هذا اليوم ! كلُّ شيءٍ فيه ! أما البارحة فقد كان كلُّ شيء عادياً . إنني لأعجبُ مما إذا كنتُ أنا نفسي قد تغيّرت أثناء الليل ، دعني أفكّر : هل أنا الآن نفسُ ما كنت بالأمسِ عندما أفقت هذا الصباح ؟ الواقع تماماً أنني أذكر بأنني قد شعرتُ ببعض الاختلاف . ولكنني إذا لم أكن كذلك ، فالسؤال التالي هو : من أكون أنا إذن ؟ آه ، هنا يكمن اللُّغز ! .

أخذت أليس بالتفكير وتذكُّر أسماءَ الأطفال الذين تعرِفهم مِمَّن كانوا في مثل عمرها ـ لترى فيما إذا كانت قد انقلبت هي لتكونَ واحِداً منهم .

وقالت :

ـ إنني لستُ دادا ، هذا أكيد ، فأنا موقنةٌ أن شَعرها ينسدلُ على شكلِ ضفائرَ طويلة ، أما شعري أنا فلا ينسدلُ بهذا الشكلِ أبداً . وأنا واثقةٌ أيضاً من أنني لست مابَل ، فأنا أعلم الكثيرَ من الأشياء ، أما هي فلا تعلم

شيئاً أبداً . آه ! ومع ذلك فهي هي ، وأنا أنا . يا إلهي ! ما هذا اللُّغز المحيِّر !

والآن . . سوف أُحاولُ مراجعة جميعِ ما كنتُ أعرفه في السابق . دعني أرى : أربعة مضروبةً بخمسةٍ تساوي اثني عشر ، أربعة مضروبةً بستة تساوي ثلاثة عشر ، وأربعة مضروبة بسبعة تساوي ـ آه ، يا ربِّي ! سوف لا أصِل إلى العشرين إذا أنا واصلتُ الحسابَ بهذه الطريقة ! ولكن لا أهميَّةَ لجدولِ الضرب . دعني أجرّب الجغرافيا : لندن هي عاصمةُ باريس ، وباريس هي عاصمةُ روما ، وروما ـ كلا ، كلاّ هذا ليس بصحيحٍ أبداً ، أنا متأكدةٌ من ذلك ! يجب ان أكونَ قد تغيَّرتُ وأصبحتُ مابل ! سأحاول قول بيت الشعر هذا :

قطتي صغيره . . واسمها نَميره

ووضعت أليس يدَيها في حِجرها كما لو كانت تُسمّع دروسَها ، وبدأت في ترديدِه . لكنَّ صوتَها بدا لها خَشِناً وغريباً ، ولم تكن الكلماتُ تخرجُ من فمِها مثلَما كانت من قبل :

ـ سوف لا أتحدّثُ عن القـطـط مرةً أخـرى إذا كنتَ تفضّل ذلك .

ـ بالطبع إنني أُفضِّل ذلـك ! هل تـظنّين أنّني أرغبُ بالتحدثِ في مثل هذه المواضيع !؟ كانت عائلاتُنا تُبغِضُ القـطط دائماً : إنها من الأشياء الوسخـة ، والسافلة ؟ لا تدَعيني أسمعُ اسمها مرةً أخرى .

هكذا صرخ الجرذ ، الذي كان يرتجف من رأسِه إلى أخمص قدميه .

ـ إذن لقد غضبتَ مني . سوف لا أفعلُ ذلك أبداً . ولكن . . هل تحبُّ الكلاب ؟

لم يـردَّ الجـرذُ عـلى سؤالها هـذا ، فـواصلت أليس الحديث :

ـ هنـاك كلبٌ صغيرٌ جميـل بالقـرب من بيتنا أودُّ أن أُريكَ إياه إنه يستعيد الأشياءَ التي نرميها له ، وهـو يجلس ويستعطي غذاءه وجميـعَ الأشياء الأخـرى . وأنا لا أذكـرُ نِصفَها . وهو يخص أحدَ المزارعـين ، كما تعلم ، ويقـول صاحبهُ إن الكلبَ مفيدٌ جداً، ويقدّر ثمنه بمائة جنيـه! وهو يقول أيضاً بأنه يقتل جميع الجرذان .

وعندما لفظت هذه الكلمةَ تذكّرت وقالت لنفسها :

« آه ، يـا ربي ، لقد عـدتُ إلى حديث الجـرذان مرة أخرى وأخشى أن أكونَ قد أَهَنْتُه ثانيةً ! » .

في هذا الوقتِ كان الفأرُ قد بدأ يسبح مبتعداً بأسرع مـا يمكن ، وكانت المياهُ في البـركـة تتمـاوج بشـدةٍ أثنـاءَ ابتعادِه .

وأخذت أليس تناديه برفقٍ قائلة :

ـ أيها الجرذُ العـزيز ! أرجـوك أن تعودَ ثـانيةً . إنني أَعِدُك بأن لا أتحدثَ مرةً ثانية عن القِطط أو الكلاب ، إذا كنتَ تكرهها !

وعندما سمع الجرذُ هذا الرجاءَ ، استدارَ عائداً إليها مـرة أخرى ، وكـان وجهُـه مصْفـرّاً . وقـال لها بصـوتٍ مرتجف :

ـ دعينـا نعودُ إلى الشـاطىء الآن ، وعندهـا سـوف أُحَدِّثُكِ عن قصّة حياتي ، وسـوف تَفْهمينَ عنـد ذاك لماذا أكرهُ القططَ والكلاب .

كان الوقتُ قد حانَ للذّهـاب ، إذ أن البِركـة بدأت

تمتلىء بالعصافير والحيوانات التي وردت عليها . كان هناك البطُّ وبعضُ المخلوقات الغريبة الأخرى . وقادت أليس الطريق ، وخرجت الجماعةُ بأكملها سابحةً إلى الشاطىء . ومن المخلوقاتِ الغريبة كان حيوانُ الطرطر الذي وقف صامتاً قُبالةَ أليس .



٣

نصيحة من الطرطر

وقفت أليس تنظرُ إلى الطرطرِ برهةً من الزمن وهي لا تُبدي حِراكاً . وقد بادلها الطرطرُ نظرتَها وهوساكنٌ أيضاً ، وأخيراً رفع الطرطر وجهه ووجَّهَ إليها هذا السؤال :

ــ من أنتِ ؟

لم يكن سؤالُهُ هذا مشجِّعا لأليس كي تبدأ الحديثَ معه ، ومع ذلك ، فقد أجابت على سؤاله بخجلٍ قائلة :

ــ في الحقيقة لستُ أدري من أنا ، في الوقتِ الحاضر على الأقلّ . لقد كنتُ أعلم من أنا حتى هذا الصباح ، غير أني منذ ذلك الوقتِ قد تغيَّرتُ مراتٍ عديدةً حتى لم أعدْ أدري شيئاً في هذه اللحظة .

ــ ماذا تعنِين بقولك « هذه »؟ أوضِحي !

ــ لست قادرةً على ذلك مع الأسف ، لأنّني أنا نفسي

قطتي صغيره   واسمُها نميره
ذيلُها طويلْ   شعرُها جميل
رِجلُها قصيره   وهي كالأميره
عينُها تبصبصْ   صوتُها ينوِّصْ
تفهم الإشاره   كي تصيد فاره

بعد أن أنهت أليس هذه الأبياتَ من الشعر ، انفجرت مرةً أُخرى في البكاء وهي تردِّد بحرقة : « ليست هذه الكلماتُ هي العباراتِ الصحيحةِ أبداً » .

لقد أضاعت المسكينةُ شخصيَّتَها ولم تعدْ تعرف من هي : هل هي « مابل » أم غيرها !!

واصلت أليس مخاطبَةَ نفسِها والدموعُ تترقرقُ في عينيها : يجب أن أكونَ « مابل » ، ويجب أن أذهبَ للعيشِ في ذلك البيت الصغير ، ولا يكونُ لديَّ من الدُّمى ما أتسلّى به ! وكذلك ! الدروسُ الكثيرةُ التي يتوجَّب عليَّ أن أتعلّمها !! كلا ، لقد قررتُ موقفي بهذا الخصوص ، فإذا كنتُ أنا « مابل » فإنني سوف أبقى هنا ، ولا أغادرُ هذا المكانَ أبداً . لا فائدةَ من أن يُطِلَّ أهلي برؤ وسهم قائلين : إصعدي مرةً أخرى ، أيتها العزيزة ! وقتذاك أنظرُ إلى أعلى

لأقول : « مَن أنا إذن ؟ أجيبوني أولاً . وبعدئذٍ ، إذا أردتُ أن أكونَ ذلك الشخص ، سوف أصعد ، وإذا لم أرغبْ في ذلك ، يكونُ من الأفضلِ لي أن أبقى حيثُ أنا إلى أن أُصبح شخصاً آخر . ولكن ، يا إلهي ! » .

هكذا صرخت أليس ، وقد عاودتْها نوبةُ البكاء ، وقالت : إنني أرجو من كلِّ قلبي يطِلُّوا عليَّ برؤ وسهم ! لقد تعبتُ جداً من بقائي هنا وحيدةً حزينة .

ولحظةَ نطقت أليس بهذه الكلماتِ نظرتْ إلى يديها ، ففاجأها أن ترى أنها لَبِستْ أحدَ قفّازات الأرنب دون أن تشعرَ بذلك . وأخذت تسائلُ نفسها قائلة : كيف تمكَّنتُ من فِعل هذا ؟ وعادت تظنّ : يجب أن أكونَ قد عُدتُ صغيرةً مرةً أخرى !!

نهضت أليس من مكانها وذهبت إلى الطاولة لتقيسَ نفسها ، فوجدت طولَها يبلغ القدمَين . لكنّها سُرعانَ ما أخذت تنكمشُ وتصغرُ . وفي الحال وجدت أن السبب في ذلك هي المِنشَّةُ التي كانت تحملها في يدها . فأسرعت إلى طرحِها ، لتتفادى استمرارَ تصاغُرها ، لربما إلى درجة الاختفاءِ من الوجود .

لقد بلغ الخوفُ منتهاه لدى أليس من هذا التغيُّر المفاجىء السريعِ الذي حدث لها ، ولكنها كانت مسرورةً أن تجدَ نفسَها لا زالت على قَيدِ الحياة . فصاحت : « والآن ، إلى البستان » .

أسرعت أليس بكلِّ ما تملِكُ من قوةٍ عائدةً إلى مدخل البستان ! ولكنها وجدت البابَ مغلقاً مرة أخرى . وكان المفتاح الذهبيُّ لا يزال في موضِعِه فوق الطاولة الزجاجية حيثُ كان من قبل . لقد أصبح الوضعُ أسوأَ من السابق بالنسبة لأليس . هذا ما فكّرت به تلك الطفلةُ المسكينة .

ــ آه ، لقد أصبحتُ صغيرةً جداً ، وقد وصلتُ إلى درجةٍ كبيرة من الصِغر لم يسبقْ أن وصلتُها من قبلُ أبداً ، وهذا من سوء حظي .

وبينما كانت أليس تنطقُ بهذه الكلمات زلَّت قدمُها من موضعها . وبعد لحظةٍ واحدة ، وجدت نفسَها تقفُ في مياهٍ مالحة تغمرُها حتى ذقنِها . وقد تبادر لها أولَ الأمرِ أنها قد سقطت بطريقة ما ، في البحر . فقالت لنفسها :

ــ « في هذه الحالة يمكنني العودةُ بالقطار » . ولكنها اكتشفت أنها تقفُ في بركة الدموع التي ذَرَفَتْها عندما كانت تبلغ التسعة أقدامٍ طولاً .

وفكّرت : (ليتني لم أكنْ قد بكيتُ إلى هذا الحد !) هذا ما كانت تردِّده أليس وهي تسبح في بركة الدموع ، تحاول إيجاد مَخْرَجٍ منها . وكانت تضيف : أعتقدُ أنني سوف أعاقَب على ذلك بغرَقي في بركةِ دموعي . سوف يكون هذا شيئاً عجيباً حقاً ! على كل حال ، فإن كلَّ شيء غريبٌ وعجيبٌ هذا اليوم .

في هذه اللحظةِ سمعتْ أليس صوتَ شيءٍ يقعُ في الماء على مسافةٍ قريبة منها ، فسبحتْ نحوه لترى ما هو . لقد ظنَّت في البدء بأن ذلك إما أن يكونَ فرسَ النهر أو غيرَه من الحيوانات ، ولكنها عادت وتذكّرت كم أصبحت صغيرةً هي نفسُها الآن . وبعد فترةٍ وجيزةٍ تبيّنت أن الشيءَ الذي سقط في الماء لم يكن سوى فأر صغير .

أخذت أليس تسائل نفسها قائلة :

ــ هل هناك من فائدةٍ تُرتجى إذا ما تحدَّثتُ إلى هذا الجرذ ؟ إنّ كل شيء غريبٌ في هذا المكان . لذا فإن عليَّ أن أُعمِلَ فكري قبل الإقدام على طلب المساعدة من الفأر . على كلِّ حال ، ليس هناك من ضررٍ في محاولتي هذه .

وهكذا ، بدأت أليس قائلة : « آه ! أيها الجرذ ، هل من طريقةٍ تمكّنني من الخروج من هذه البركة ، أرجوك ! أرجوك مساعدتي أيها الجرذ !

كانت تعتقدُ أن هذه الطريقةَ هي الطريقةُ المثلى عند مخاطبة الجرذ : لم تكن قد تكلّمت مع فأرٍ من قبلُ ، إنما تذكرتْ أنها كانت قد رأت صورةَ الجرذ في كتابٍ للنحو باللغة اللاتينية التي يدرسُها أخوها .

نظر الجرذُ إليها متسائلاً ، وبدا لها أنه يرمِشُ بإحدى عينيه ، ولكنّه بقي صامتاً لا يجيب .

وقالت أليس لنفسها :

ـ أظنُّه لا يفهم الانكليزية ، سوف أُحدِّثه بالإفرنسيّة .

وهكذا عادت إلى الحديث مرةً ثانية ، باللغة الإفرنسية . ولكن الفأرَ لم يستجبْ لتساؤلاتها ، بل قفز فجأةً من الماء وخرج وهو يرتجفُ من شدة الخوف .

وصرخت أليس : « آه ، أرجو المعذرة ! » لقد ظنَّت أنها أساءت إلى الحيوان المسكين وإلى شعوره .

ـ لقد نسيتُ أنك تكره القطط .

وصرخ الفأرُ بصوتٍ حادٍّ قائلاً : أنا لا أكره القطط ! ماذا كنتِ تفعلين فيما لو كنت في موقفي ؟ أهل كنتِ تكرهينَ القطط أم لا ؟

ـ ربما لا . يجبُ أن لا تغضب . ومع ذلك كنتُ أرغب لو أنني عرّفتك على قِطّتنا دنيا . وأعتقدُ بأنك سوف تستأنسُ بها لو تمكنتَ من رؤيتها فقط . إنها أحدُ الأشياء العزيزة على قلبي .

واصلت أليس حديثَها ، بينما هي تواصلُ السباحة بكسلٍ في البركة ، وقالت :

ـ إن دُنيا تجلس قُرب المدفأة وتأخذ بالمواء بشكلٍ جميل ، تلعقُ أظافرها وتغسل وجهها . إنها من الأشياء الصغيرة الجميلة التي يتوجّبُ رعايتُها . وهي ذكيةٌ وبارعة في اصطياد الجرذان ـ آه ، أرجو المعذرة مرةً أخرى ! .

كان الفأرُ ينتفضُ الآن وقد وقفَ شعرُ فروته هذه المرة . فشعرت أليس أنها قد أساءت إليه بالتأكيد . لذلك قالت :

قد تغيّرت ، كما ترى .

ــ لا ، لستُ أرى شيئاً ، ولم أفهم ما عَنَيْتِ بقولِكِ « هذه » .

ــ ليس بمقدوري إيضاحُ ذلك بطريقةٍ أفضل ، إذ أنني لا أعرفُ ما حدث لي ، ولا أستوعبُه ، لكوني قد تبدّلت من قياسٍ إلى آخرَ مراتٍ عديدة خلالَ يوم واحد فقط ، مما أثار قلقي كما ترى .

ــ لا ، إنه ليس كما تقولين .

ــ قد لا تصدِّقُ ذلك . وهذا شيءٌ معقول . فأنتَ لم تمرَّ بمثلِ تجربتي التي مررتُ بها . ولكنّك لو تعرّضتَ لِما تعرضتُ له أنا ، أو لو أنك أُجبِرت على أن تتحوَّل إلى مَسْخٍ وبعدها إلى فراشة ، في يومٍ من الأيام .. عندئذٍ يكون بمقدورِك أن تفهمَ هذا الشعورَ الغريبَ الذي أُحسُّ به أنا ، أليس ما أقوله صحيحاً ؟

ــ كلا ، أبداً ..

ــ كما تريد . ربما يكونُ شعورُك مختلفاً .. إنما ، بالنسبةِ إليَّ ، فلا زلتُ أشعرُ بالغرابة والانزعاج من حالتي هذه .

ولم يعجبْ ذلك الطرطرَ ، فعاد يسألها من جديد :

ــ من أنتِ ، من أنتِ ؟

وبهذا السؤالِ عاد كلاهما إلى نقطة البدءِ من الحديث . وقد شعرتْ أليس بالضِّيق من الطرطر لتوجيهه لها مثلَ هذه الأسئلةَ المقتضَبة (القصيرة) ولعدم إفساح المجالِ أمامَها للحديث . فحاولت الانسحابَ وهي تقول بحزن :

ــ أعتقدُ أنه من الواجب أن تقولَ لي من أنتَ أولاً .

ثم استدارت منسحبة. ولكنها سمعت الطرطرَ يطرح عليها هذا السؤالَ المقتضب :

ــ لماذا ؟

وقالت أليس في نفسها : « ها قد عاد إلى الأسئلة المحيِّرة مرةً أخرى ! » .

لم تتمكن أليس من إعطاء سببٍ وجيه ردّاً على سؤاله . ولمّا كان الطرطرُ في حالةٍ عقلية مضطربة ، فإنها لم تردّ ، بل واصلت سيرَها مبتعدةً عن المكان .

عند ذلك صرخَ الطرطرُ منادياً إياها قائلاً :

ــ عودي إلى هنا ، لديَّ شيءٌ هام أودُّ قوله لك !

سمعتْ أليس ذلك فتوقَّفت عن سيرِها برهةً لتفكِّر فيما سمعتْه . وبدا لها أن ما قاله الطرطرُ يبدو مشجِّعاً ، ومن ثم فقد استدارت وعادت إليه مرةً ثانية .

وقال الطرطر : « احتفِظي بهدوئك » .

ــ هل هذا كلُّ شيء ؟ .

وكادت تعجَزُ عن ضَبْطِ أعصابها حتى لا تنفجر غضباً في وجهه . لكنه أجاب :

ــ كلا .

وآثرت أليس الانتظارَ لترى ما سوف يقولُه محدثها الثقيلُ الدم . ولماذا لا تنتظر أليس ، وليْس لديها ما يَشْغَلُها ! كما أنه قد يُخبرها بشيءٍ ذي فائدةٍ لها . على هذا الحال بقيتْ أليس لبضعِ دقائق فيما كان الطرطر أثناءَ ذلك يُكَرْكر في النارجيلة وينفثُ دخانها من فمه دونَ أن يتكلّم بكلمة ، ولكنه في النهاية فتح ذراعَيْه ، وانتزع «النبريش» من فمه ، ثم قال :

ــ وهكذا تعتقدين أنك تغيرتِ ! أليس كذلك ؟

وكادت أليس تثورُ في وجهه . . لكنّها صبرت على

سماجته هذه المرةَ أيضاً وأجابت :

ــ نعم يا سيِّدي ، مع الأسف ، لست قادرةً على تذكُّر الأشياء مِثْلما كنت أفعلُ في الماضي . لم أعدْ أحتفظُ بنفس القياس لعشر دقائق فقط !

ــ ما هي تلك الأشياءُ التي لم تعودي تذكرُينها ؟

ــ حاولت أن أردِّد مقطوعةً من الشِّعر ، ولكن ما ردّدتُه فعلاً كان مختلفاً تماماً عما كنت أقصِد ترديدَه .

ــ أعيدي عليّ هذا البيتَ من الشعر !

وذكر لها الطرطرُ اسم مقطوعة من الشعر .

عقدت أليس ذراعيها وبدأت تردِّد قطعةَ الشعر المذكورة . وبعد أن انتهت من ذلك ، قال لها الطرطر :

ــ لم تقوليه بطريقةٍ صحيحة يا فتاة .

ــ إنني آسفةٌ لِكون ما تقوله صحيحاً ، لكنّني أعتقدُ أن هناك بعض كلماتٍ بقيت على حالها لم تتغير !

ــ إن ما ردَّدتيه كلُّه خطأ ، من البدايةِ إلى النهاية ، هذا شيءٌ مؤكد .

ثم صمت الطرطرُ لبضع دقائق ، عـاد بعـدهـا للحديث قائلاً :

ـ ما هو القياسُ الذي ترغبين فيه لجِسمِك ؟

ـ أنـا لستُ مهتمةً بـالحجم بـوجـهٍ خـاص ، ولكن الإنسـانَ لا يرغب في أن يتغير بشكـلٍ متـواصـل ، كـما تعلم .

ـ لست أدري .

التزمتْ أليس الصمت . لم يعارضْها أحد عـلى هذه الصورة من قبلُ أبداً . لذا أحسّت بأنها على وشكٍ أن تفقدَ أعصابها . وسألها الطرطر :

ـ هل أنتِ راضيةُ الآن ؟

ـ بل أودُّ لـو أكونُ أكبرَ قليلاً يا سيدي ، هذا إذا لم يكن لديـكَ مانع ، إذ أن ثلاثـة إنشـات من الـطول فقط لهوشيءُ مـفـجـع .

وقال الطرطر بغضب :

ـ إنه في الواقع ارتفاعُ جيد .

وقد رفع نفسه وهو يتكلّم ، وكان طوله ثلاثة إنشات تماماً .

ـ ولكني لستُ معتادةً على ذلك !

هذا ما استعطفتْ به أليس ذلك الطرطرَ وهي تتحدّث بطريقةٍ تثير الشفقة ، بينما هي تدعـو أن لا يكونَ ذلـك المخلوقُ سريعَ الغضب .

ـ سوف تعتادين على ذلك مع مرورِ الزمن .

قال هذا ، وعاد يضع النبريشَ في فمه، وبدأ الكركرةَ بالنارجيلة مرةً أخرى .

وقفت أليس في هـذه الأثنـاء تنتظرُ بصبرٍ أن يعـودَ الـطرطر إلى الحـديث معها مـرةً أخرى . وبعـد دقيقـةٍ أو دقيقتين أخرج الطرطر « النبريش » من فمه وتمطّى مرةً أو مرّتين ، ثم نفض جسمَه وانحدرَ من على الكومة التي كان يجلس فوقها ، وأخذ يزحف مبتعداً إلى داخل الحشائش ، ولم يتلفّظ إلاّ بملاحظةٍ واحدة وهو يزحف قائلاً :

ـ إن جانباً سـوف يجعلك أطول ، والجانبَ الآخر سوف يجعلك أقصر .

وأخذت أليس تتساءل : « جانبٌ مِن ماذا ؟ الجانب الآخر من أيّ شيء !!» .

وكأنها كانت توجِّه هذا السؤالَ إلى الطرطر ، إذ أنه أجابها قائلاً : « جوانبُ الكمأةِ هذه ! » .

وبعد لحظاتٍ قليلةٍ اختفى الطرطرُ من أمامها .

ظلّت أليس تنظرُ إلى الكمأة وهي تفكِّر . كانت تحاولُ معرفةَ أيَّ جانبين عنـاهُما الـطرطرُ في كـلامه . وحيث أن الكمأةَ كانتْ مُسْتديرةً تماماً ، فقد وجدت أليس ذلك صعباً تماماً . ولكنّها ، في النهاية مدَّتْ ذراعَيْها حولَ الكمـأةِ إلى أبعدِ مدىً تستطيعُ الوصولَ إليه ، واقتطعتْ قطعةً من كلٍّ جانبٍ في كلتا يدَيها .

والآن ! أيُّ قـطعةٍ التي تَزيدُ في الـطول ، وأيُّها التي تقصِّرُ الطول ؟ هذه هي مشكلةُ أليس الكبرى .

قَضَمَتْ أليس قليلاً من القِطعـة التي كانت في يـدِها اليُمنى وانتـظَرَت لترى النتيجـة . . وفي اللحـظةِ التـاليـة شعـرتْ بضربـةٍ قويـّةٍ أسفلَ ذقنِهـا ، ولم يكنْ هذا سِوى صوتِ اصطدامِ ذقنها بقَدَمِها !

وفزِعت أليس كثيراً من هـذا التغيير السريعِ الـذي حـدَثَ لها ، لكنها أدركتْ بأنـه لم يَعُدْ لهـا لحظةٌ واحـدةٌ تُضيِّعها . لقد شعـرت بنفسِها تتقلَّصُ بسـرعةٍ مُـذْهِلة ،

ولهذا بدأت العملَ على الفور . فتناولتْ جُزءاً من القطعةِ الأُخرى والتهمَتْه .

كانت ذقنُها في هذا الوقتِ ملتصقةً تماماً بقدمِها ، ولم يكنْ هناك إلاّ مسافةٌ ضئيلةٌ تُمكِّنُها من فَتْـح فمها ، لكنهـا تمكَّنت من أن تأكل عـلى كلِّ حـال ، ونجحت في ابتلاعِ باقي القِطعةِ الأخرى الموجودة في يدِها اليُسرى .

« آه ! لقد أصبحَ رأسي حُرّاً الآن » !

قالت أليس ذلك وهي تشعرُ بالسـرورِ المُفْرطِ . لكن ذلكَ السرورَ انقلَبَ إلى هلعٍ في اللحظة التاليـة ، عندمـا وجدت كَتِفَيْها قد فارقتاها . لقـد تبخَّرتـا ! وكان كـلُّ ما استطاعت رؤْيَته عندما نـظرتْ إلى أسفلَ ، عُنقـاً شديـدَ الطول بدا وكأنه يرتفعُ مثلَ قصبةٍ أو عصا رفيعةً من خلال بحرٍ من الأغصان الخضراءِ التي توجـد على مسافةٍ بعيـدة منها .

وساءلت أليس نفسَها : « مـاذا يمكنُ أن يكونَ هـذا الموجُ من المادة الخضراء ؟ أين ذهبتْ كتِفاي ؟ آه ، يا يدي المسكينتَين ، كيف يمكنُني أن أراكما ؟ » .

كانت تحرِّكُهما حولها وهي تتكلّم ، ولكنْ . . لم يكنْ

يبدو هناك أيةُ نتيجة ، فيما عدا القليلُ من الارتجاجِ فيما بينَ الأغصانِ الخضراءِ البعيدة .

ووجدتْ أليس أنه ليس هناك من فائـدةٍ ولا أملٍ في رفْـعِ يدَيهـا إلى رأسها ، فحـاولت أن تَخْفِضَ رأسَهـا إلى مستـوى يدَيهـا . وقد سُـرَّت كثيراً عنـدما وجـدت عُنقَها يستجيبُ بسهـولة لـلإنثِنـاء في جميـع الاتجاهـات ، مثـلَ الأفعى . هـا قد نجحت في ثَنْيِ عُنقِهـا بشكل متعـرِّج ، وكانت أليس تستعدُّ لأن تغوصَ بين الأغصان . لكن . . أيّ أغصان ! إنها أغصانُ قِممِ الأشجارِ التي كانت أليس تتحوّل تحتها في ذلك الوقت .

« آه ، ما هذا ؟ » .

هكذا صرخت أليس فَجـأةً عندمـا رأت نِسْراً ينقضُّ عليها ، مما جعلَ الفتاةَ الطويلةَ تتراجعُ بسرعـة . . ،ولكن هذا الطائرَ الكبيرَ الحجمِ كـان قد بـدأ يهاجمُهـا ويضربُ وجْهَها بجناحَيْه بكلِّ قوةٍ وقسوةٍ وهـو يصرخ : « أفعى ! أفعى ! » .

وحـاولت المسكينـةُ أن تُفهِمـه بـأنها ليست أفعى ، وكـانت تَصـرُخُ قـائلة : « دعني ! دعني ! أنـا لستُ بأفعى . » .

فكان النِّسْرُ يُجيب محتدّاً (شديد الغضب) :

ــ بلى : إنكِ أفعى ، إنني أقول هذا وأُردِّده .

وكان يردِّد ذلكَ بصوتٍ مخنوق ، ثم أضاف قائلاً وهو ينتحِب :

ــ لقـد جَرَّبْتُ كـلَّ الـطرق . . لم يكن هنـاك شيءٌ يسرّها !

ــ ليست لديّ أيةُ فكرةٍ عما تتحدّث به أيها الطائر !

ــ لقد جرَّبْتُ جـذوعَ الأشجار ، وضِفـافَ الأنهر ، وأماكن أُخرى كثيرة ، ولكن ، آه من تلك الأفاعي !

كـانت أليس تـزدادُ حَيْرةً من كـلام هـذا الـطائـرِ العجيب . . ومع ذلك ما كانَ هنـاك من فائـدةٍ من قولِ شيءٍ ما حتى ينتهيَ النَّسْرُ من حديثه .

وصَمَتَ الطائرُ قليلاً ثم واصلَ حديثَه قائلاً :

ــ ألا يكفي ما أقومُ به من تفقيسٍ ، حتى يُطلَبَ إليّ أن أبحثَ عن الأفاعي ليلَ نهار ! لماذا ، يا إلهي ، لم أذقْ طَعم النومِ منذ ثلاثةِ أسابيع أو أكثر !!

وعلى ذلك ردَّت أليس :

ـ إنني لآسفةٌ حقاً إذا كنتُ قد سبَّبْتُ لك أيةَ متاعب ولكنني لستُ أفعى . أرجوكَ أن تُصدِّقَني .

كانت أليس في ذلكَ الوقتِ قد بدأت تفهمُ ما يَعنيه الطائرُ في حديثه : الأفاعي تُهاجِمُ فِراخَه وتبتلعُها .

وواصلَ الطائرُ حديثه وقد تهدَّج صوتُه :

ـ كنتُ أعتقدُ أنني سوف أتخلَّصُ من الأفاعي في هذه الغابة ، ولكنَّ ظنِّي قد خابَ بوجودِكِ أنتِ أيّتُها الأفعى !

ـ أنا أحْلفُ لكَ أنّي لستُ بأفعى ، وأنا أؤكِّدُ لك ذلك ، أنا ـ أنا ـ أنا لست إلاّ . .

فقاطعها الطائرُ بحدَّةٍ قائلاً :

ـ مَن أنتِ إذن ؟ آه ! أرى أنكِ تحاولين أن تُلَفِّقي شيئاً ما . أليسَ كذلك أيتها الأفعى ؟

ـ أرجوكَ أن تُصدِّقَني أيها الطائرُ العظيم . أنا لست إلاّ طفلةً صغيرة .

وقد لفظتْ أليس بهذه الكلماتِ متلعثِمةً . . بعد أن عادت إلى ذِهنها تلك التغييراتُ العديدةُ التي تعرّضت لها في ذلك اليوم .

ـ آه ! إن ما تقولينه يَبدو معقولاً !

قال الطائرُ هذا بتهكُّمٍ وفي نبراتِ صوتِه ما يَنِمُّ عن الاحتقار . ثم أضاف :

ـ لقد رأيتُ الكثيرَ من الفتياتِ الصغيرات ، لكنَّني لم أرَ في حياتي فتاةً مثلك . . لها هذا العنقُ الطويلُ الذي تحملينه أنتِ ! كلاّ كلاّ ، أنتِ أفعى . ما من فائدةٍ في إقناعي بغير ذلك ، ولا في نَفيك لهذه الحقيقة .

وصمتَ قليلاً ثم عاد للحديث بلهجة المتهكِّم مرّةً أُخرى !

ـ أعتقدُ أن ما ستقولينَهُ بعد هذا ، هو أنك لم تذُوقي البيضَ في حياتك أبداً ! أليسَ كذلك ؟ .

ـ بلى ، لقد فعلتُ ، فأنا فتاة . . وأنتَ تعلم ذلك .

ولم تكنْ أليس تعرفُ الكذِب لأنها كانت فتاةً صادقةً ومستقيمة ، كما أن جميعَ الفتيات يأكلْنَ البيْض . . مِثلُهُنَّ في ذلك مثلُ الأفاعي .

ـ لا ، لا ، أنا لا أعلمُ ذلك ولا أُصدِّقه . ومهما كان الحال ، فلماذا تكونُ الفتياتُ لطيفاتٍ مع الأفاعي ؟

كان ما ذكَرَه الطائرُ شيئاً جديداً عنـد أليس ، لم تكن تَعلمه من قبل ، لذلك لم تجدْ الكلماتِ المناسبةَ التي تردُّ بها على حديثه معها . وهكذا ظلَّتْ صامتـة تنتظرُ أن يكمِـلَ الطائرُ حديثه .

وقال الطائرُ مواصلاً الحديثَ بعد أن رأى صَمْتَها :

ـ أنـا أعلمُ أنك تُفتشِّـينَ عن البَيْض ، وأعلم ذلك جيّداً . فلماذا تنفِين ذلك ؟ وماذا يهمُّني إذا كنتِ أفعى أو فتاةً صغيرةً كما تدَّعين ؟

فأجابت أليس بلهفة :

ـ ولكنَّ ذلك يهمُّني أنا كثيـراً . إن وجودي هنـا ليس لِلتَّفتيش عن البيض، أبـداً، فـأنـا أكرهُ البيضَ النّيءَ ولا أُحبّه .

ـ حسناً، حسناً، إذهبي من هنا إذَن .

هكذا قال الطائرُ وهو يبدو وقد نفِدَ صبره ، ومن ثم ألقى بنفسه داخلَ عشِّه فوقَ قمة الشجرة .

أخـذتْ أليس تـزحفُ بـين الأشجـارِ وهي تُـواجِـهُ صعوباتٍ جَمَّـةٍ من جرّاءِ عُنقها الطويل . فقد كان يتشابكُ مع الأغصان ، مما يضطرُّها إلى التوقُّفِ بين آنٍ وآخر لكي تخلِّصَه من بين تلك الأغصان .

وأخيراً تذكّرت أليس أنها لا زالت تقبضُ على قِطعِ الكمأةِ في يديها ، فقالت في نفسها : «يجبُ عليكِ الآن يا أليس أن تتصرَّفي بهدوءٍ وتعقُّل حتى تتخلَّصي من ورطتك هذه !» .

أكلتْ أليس قـطعةً من الكمـأة التي في يـدهـا اليمنى أولاً ، ثم أتبعتْها بقطعةٍ ثانية من الأخرى الموجودة في يدِها اليسرى . وبقيتْ على هذا المنوال ، حينـاً تطولُ ، وحينـاً تقصُرُ ، إلى أن تمكَّنت في النهايةِ من إبقاءِ نفسِها في الحجم الذي كانت تُريده ، أي أنها عادت إلى حجمِها العاديّ .

مرَّ وقتٌ طويلٌ على أليس المسكينةِ منذ أن كانت فتاةً عادية من قبلُ ، ولقد شعرت ببعض الغرابةِ الآن ، ولكنَّها تعودتْ على ذلك بعد دقائقَ قليلة ، فبدأت تحدِّثُ نفسَها كعادتها ، قائلة :

ـ « ها إن نصفَ مُخَطَّطي قد اكتملَ الآن ، بعد أن كانت تلك التغييراتُ التي حدثت لي تُحيِّرني جداً ! لم أكنْ أعلمُ ما سوف يحلُّ بي بينَ آونة وأُخرى ! على كل حال ، ها أنذا قد عدتُ إلى حجمي العاديّ . . عليَّ أن أفكرَ الآنَ في الخطوةِ التالية التي يتوجّبُ عليَّ القيامُ بها لأستطيعَ دخول ذلك البستانِ الجميل . ولكن ، كيف يُمكنني ذلك ! لستُ أدري . . » .

وعندما وصلت إلى هذا الحدّ في تفكيرها ، وجدت نفسَها فجأةً في مكانٍ مكشوف ، وكان فيه بيتٌ صغيرٌ لا يزيد ارتفاعهُ عن الأربعة أقدام .

فقالت أليس لنفسها :

ـ « أيّاً كان أهلُ هذا البيت ، فليسَ من فائدة لي في أن أظهرَ أمامهم وأنا في هذا الحجم ! ولكن لماذا ؟ آه . . لأنّني سوف أرعِبُهم بل حتى أُخرجُهم من عقولهم !

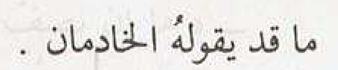
وهكذا بدأتْ تقضِمُ من قطعةِ الكمأة التي في يدِها اليمنى ، ولم تتجرّأ على التقدُّم قريباً من البيتِ إلى أن جعلت طولها تِسعةَ إنشات .

٤

الخنزير والفلفل

وقفت أليسُ تنظرُ إلى البيتِ لبضع دقائق ، وبينما هي مُطرقةٌ تفكّر في خطوتها التالية ، إذ ظهرَ أمامَها فجأةً خادمٌ يرتدي لباسَ الخدَم ويهرَعُ خارجاً من الغابة متَّجهاً نحو ذلكَ البيت . لقد اعتبرتْهُ أليس أحدَ الخدم بحكم لباسه الذي عليه . أما لو نظرتْ إلى وجهه فلا شكّ أنها ستعتبرُه سمكة .

وطَرَقَ ذلك الخادمُ السمكةُ الباب بصوتٍ عالٍ بيديه ، وعلى الأثر فتحَ الباب خادمٌ آخر كان أيضاً يرتدي بزةً تشبهُ تلك التي كان يرتديها الأوّل . وكان لهذا الخادم الثاني وجهٌ مستديرٌ فيه عينانِ كبيرتان مثلُ عيونِ الضِّفدع . ولاحظتْ أليس ، أنّ كلا الخادمَين كان له شعرٌ مصقولٌ يلتفُّ فوق رأسِه . كما شعرت بالفُضُولِ لمعرفةِ ما يحدُثُ في ذلك البيت ، فزحفت قليلاً إلى خارجِ الغابة علّها تسمعُ



ما قد يقولهُ الخادمان .

بدأ الخادمُ الـذي هو في شكـلِ السمكة بـأن أخرجَ مغلَّفاً كبيراً من داخل ثيابه ، وكان حجمُ المغلَّفِ كحجْمِ الخادمِ نفسِه تقريباً ، ومن ثم قـدَّمه إلى الخـادمِ الآخر ، وهو يتحدّثُ بصوتٍ رصينٍ قائلاً :

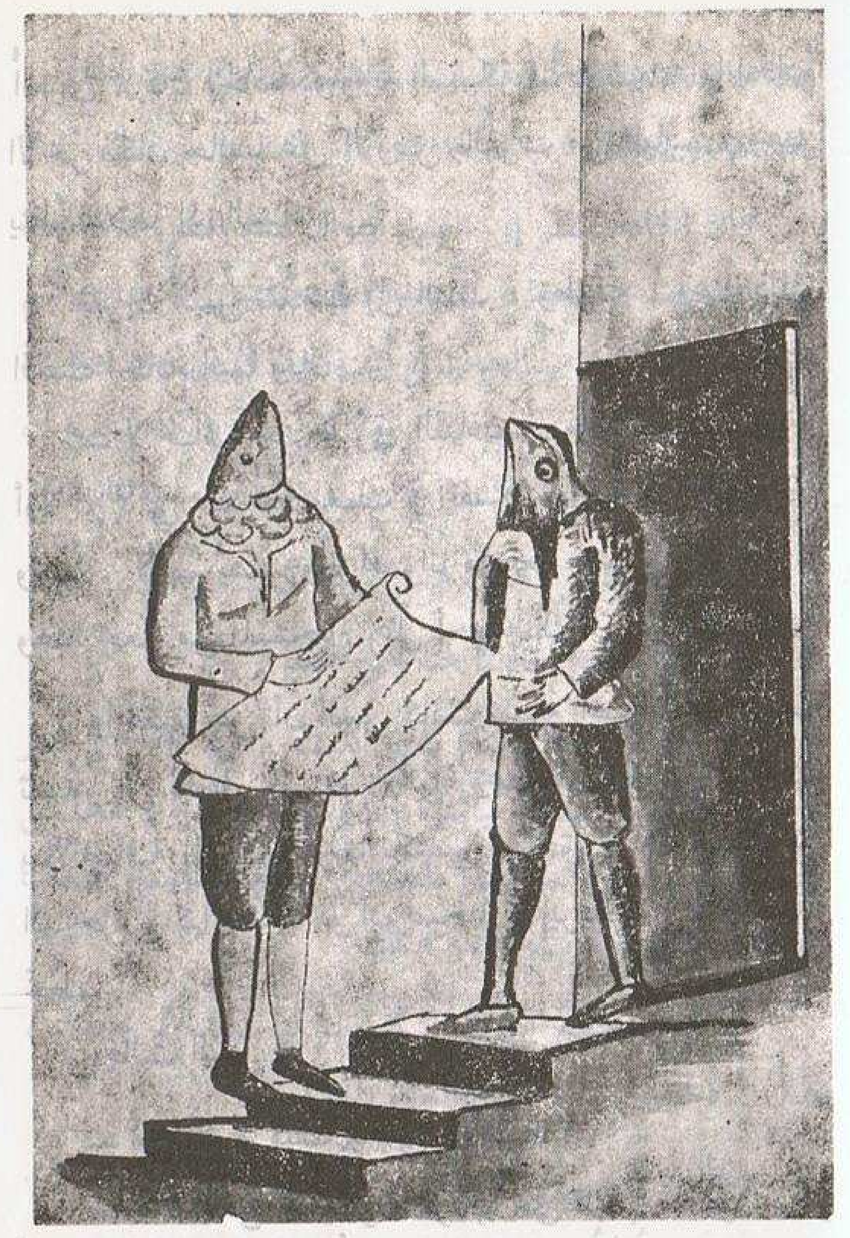
ــ هذا للدوقة . إنه دعـوةٌ من الملكةِ لتُشارِكَها في شُغل الإبرة .

وأعاد الخادمُ الثاني ذو الوجـهِ المستديرِ والعيونِ التي تشبـه الضِفـدعَ مـا ردّده الخـادمُ الأولُ بنفس اللهجـةِ الرصينة[1] ، ولكنْ مع تغييرِ مواقع الكلمات قليلاً ، وبهذا الشكل : من الملِكة ، دعوةٌ إلى الدوقة . لتتسلّى بالحياكة .

بعد هذا ، انحنى الخادمانِ كلٌّ منهما للآخرِ حتى كادَ شَعْرُ الواحدِ منهما يتشابكُ مع شعرِ رفيقِه . .

ضحكتْ أليسُ كثيـراً من هـذا المنـظر ، حتى إنها اضطُرَّت إلى التراجُعِ إلى داخلِ الغابة خوفاً من أن يسمعَ الخـادمان ضَحْكـاتِها . وعنـدما عـادت تختلسُ النظرَ مـرة

(١) الجادة ـ الرزينة .



الخادم السمكة

أُخرى ، كان الخادمُ ذو وجهِ السمكةِ قد ذهب ، أما الخادمُ الآخرُ فكان جالساً على الأرض بالقُربِ من الباب ، وهو ينظرُ ببَلاهةٍ إلى السماء .

ثم إن أليس تقدَّمتْ إلى الباب ، وطرقَتْه . وعند ذلك التفتَ الخادمُ إليها وقال :

ــ لا فائدةَ من طرْقِ الباب . . وذلك لسبَبَيْن ، أولاً ، لأنَني موجودٌ معكِ في نفسِ الجهة من الباب ، وثانياً ، لأنهم يُصدِرون أصواتاً مرتفعةً جداً في الداخل ، وهذا يجعلُ من المستحيلِ على أحدٍ هناك أن يسمَعَك .

والحقيقةُ هي أنَّ أليس كانت تسمعُ أصواتاً غيرَ طبيعيةٍ تصدُرُ من داخلِ البيت : عُواءً وعَطْساً متواصلَين ، هذا بالإضافةِ إلى أن صوتَ تكسيرٍ وسحْقٍ كان يصدُرُ من الداخل ، كما يحدُث لو أن صحناً أو إبريقاً من الزجاج قد تحطّم .

وقالت أليس :

ــ أرجوك ، كيف يُمكنني الدُّخول ؟

ــ كان يمكن أن يكونَ طَرْقُكِ على الباب معقولاً ، لو أنني كنتُ في الناحية الأُخرى منه ، فمثلاً ، لو كنتِ في

الداخل ، ثم طرقْتِ الباب ، لتمكنتُ من إخراجِك . إنك تعلَمين ذلك .

كان الخادمُ ينظرُ إلى السماءِ طوالَ هذه الفترة ، فقالت أليس لنفسها : « حقاً ، أنّ هذا الخادمَ قليلُ الأدب » . ثم أضافت : « لكنه من المحتَمَلِ أن يكون الأمرُ رغماً عنه إذ أنْ عينَيه تشكِّلان معظَم قمة رأسِه تقريباً ، ولكنه يجب أن يردَّ على الأسئلة ، مهما كان الحال . » وصاحت مرةً ثانية :

ــ كيف يُمكنني دخولُ هذا البيت ؟

ــ سوفَ أبقى جالساً هنا حتى الغد .

وفي هذه اللحظةِ فُتح بابُ البيت ، وإذ بصحنٍ كبيرٍ يمرُّ من خلاله ، ليتّجه مباشرةً إلى رأسِ الخادم : فخَدَشَ أنفَه فقط ، ومن ثُمَّ تبعْثَرَ الصحنُ قِطَعاً صغيرةً عندما اصطدَم بشجرةٍ كانت قائمةً هناك .

وواصل الخادمُ حديثه ، كما لو أنّ شيئاً لم يحدُث ، فقال : « أو ، ربما ، اليومَ الذي يليه » .

وسألت أليس مرة أخرى :

ــ كيف يُمكِنُني الدخول ؟

قالت ذلك هذه المرّةَ بصوتٍ أكثَرَ ارتفاعاً عن ذي قبل . ولذلك سُرعانَ ما سمِعتْ أليس الخادمَ يُجيب :

ــ هل تريدين الدخولَ حقاً ؟

كانت هذه هي المرةَ الأولى التي يوجّهُ بها الخادمُ السؤالَ لها ، ففرحت بذلك وأجابت :

ــ بالتأكيد ، دون شك .

لكنَّ أليس لم تكنْ ترغبُ أنْ يُقالَ لها ذلك . فهو شيءٌ فظيعٌ . حقاً إن الطريقة التي تُحاجِجُ بها جميعُ المخلوقاتِ تكفي لأن تجعلَ المرءَ يُصيبه الجنون .

وأما الخادم فيبدو أنه كانَ ينظرُ إلى هذا الوضع وكأنه مناسَبَةٌ طيِّبةٌ لكي يعيدَ تَكرارَ ملاحظاته . ها هو يقول :

ــ « سوف أجلسُ هنا ، يوماً بعد يوم ، ولأيامٍ عديدة » .

مما جعلَ أليس تفقِدْ صبرها وتصرُخُ في وجهه :

ــ وماذا يتوجَّبُ عليَّ عملُه إذن ؟

ــ أيَّ شيءٍ تريدينه .

قال الخادمُ ذلك ، وبدأ يصفُرُ بفمِه . وفكَّرت

أليس : أنه لا فائدةَ في مواصَلةِ الحديث معه . وهذا ما جَعَلَها تقولُ بيأسٍ : « إنه معتُوه » ثم فتحت البابَ ودخلت .

كان بابُ البيت يقودُ مباشرةً إلى غرفةِ المطبخ الواسعة والتي كانت تمتلىء بالدُّخان . وهناك كانت تجلِسُ الدُّوقةُ فوق مقعدٍ له ثلاثُ قوائم ، وهي تُهَدهِدُ طِفلاً صغيراً ، فيما كان الطبّاخُ ينحَني فوق النار ، وهو يُحرِّكُ حُلّةً كبيرةً بدا وكأنها مملوءةٌ بالحِساء .

خاطبت أليس نفسَها قائلة : « لا بُدَّ وأن يكونَ الكثيرُ من الفلفلِ قد أُضيف إلى هذا الحساء » إذ أنها كانت تَشُمُّ رائحة الفُلفُلِ تفوحُ في المطبخ .

والواقعُ أنَّ رائحةَ الفلفلِ كانت عابقةً في الهواء . ها هي الدوقةُ تَعْطِسُ بين فترةٍ وأُخرى ، وأما الطفلُ فهو يعطِسُ ويصرُخُ بشكلٍ متواصِلٍ دون أن يتوقَّفَ لحظةً واحدةً عن ذلك . وأما الأشياء الأخرى التي كانتْ موجُودةً في المطبخ ولم تعطِس فهي : الطبّاخُ ، وقطّةٌ كبيرةٌ كانت تجلِسُ فوق الموقِدِ وتكشيرَتُها مِلْءُ وجْهِها .

وسألت أليس وهي تشعرُ بخوفٍ شديد ، لأنها تجهلُ

ما إذا كان من حُسنِ السلوكِ أن تُبادرَ هي الدوقةَ بالحديثِ أولاً ، وقالت :

ـ لماذا تكشِّرُ هذه القطةُ بهذا الشكل ؟

ـ إنها قطةٌ من شيشاير ، ولهذا السببِ فهي تكشِّرُ أيها الخنْزير !

هكذا ردَّت الدوقةُ على سؤالِ أليس ، مما جعلَ أليس تقفزُ عن الأرض . . لكنّها بعد لحظةٍ وجدت أن الدوقةَ كانت توجِّه حديثها إلى الطِفل لا إليها هي .

وهكذا تشجَّعتْ أليس ، وواصلت حديثَها :

ـ لم أكنْ أعلمُ أن قِططَ شيشاير تظلّ مكشِّرةً دائماً وأبداً ، بل لم أكن أعلمُ أن بمقدور القطط أن تكشرَ أبداً .

ـ إنها جميعَها قادرةٌ على ذلك .

كانت أليس تشعرُ بالرضا عن نفسها . أما تمكّنتْ من أن تواصِلَ الحديثَ مع هذه الدوقة ! وقالت الأخيرة :

ـ أنتِ لا تعلَمين الكثير . . هذه هي الحقيقة .

لم تُعجب أليس هذه الملاحظةُ التي بدَرَتْ من الدوقة ، لذلك حاولت إيجادَ موضوع آخرَ تُغَيِّرُ به مجرى

الحديث . وبينما هي تُجهِدُ فكرَها في إيجاد مثلِ هذا الموضوع ، إذ بالطاهي يُنزِل حلّةَ الحِساء من على الموقد ، ويأخذُ على الفورِ في قذفِ الدوقة والطفل وبكلّ ما وصلتْ إليه يداه : القِدر ، الصحون ، الأطباق ، وغيرِها . ولم تعدْ أليس ترى سوى تلكَ الأطباقِ والصحونِ وهي تتطايرُ في الهواء .

والعجيبُ أنَّ عَمَلَ الطاهي هذا لم يُثِرْ اهتمامَ الدوقةِ أبداً ، ولا التفتَتْ له ، مع أن بعضَ الأطباقِ أصابتْها فعلاً . أما الطفلُ فجَعَل يصرُخُ صُراخاً يثيرُ شفقَةَ من يسمعه . ولهذا صرخت أليس قائلة :

ـ أوه ، أرجوك . إنتبهْ لما تفعل .

وقد انتابها شعورٌ من الرعبِ والفَزَع لما كانت تراه يَحدُثُ أمامها .

وعند ذاك قالت الدوقةُ بصوتٍ خشن :

ـ لو أنَّ كلَّ واحدٍ يهتم بشؤونه الخاصة ، ولا يتدخَّلُ في شؤونِ الآخرين ، لكان العالَمُ يُسيرُ بقوةٍ أسرعَ مما يفعلُ الآن .

فأجابت أليس :

ـ لن يكونَ ذلك مِيزةً حسنة . تصوَّري ان الكرةَ الأرضيَّة تَستغرِقُ أربعاً وعشرين ساعةً لكَي تدورَ على مِحورِها .

وصرخت الدوقة :

ـ بمناسبة الحديث عن الفُؤوس ، إقطَع رأسه !

نظرت أليس بقلقٍ إلى الطاهي ، لترى ما إذا كان سينفِّذُ أمرَ الدوقة أم لا . . لكن الطاهي كانَ مُنْشغِلاً في تحريك الحِساء ، وبدا أنه لم يسمع . لذلكَ تجرّأَتْ أليس على مواصَلَةِ الحديث قائلةً :

أربعاً وعشرين ساعة ، أو اثنتي عشرة ساعة ؟ أنا . .

ـ آه ، لا تُضايقيني بهذه السَّخافات . لم أتعوَّدْ احتمالَ الأرقام أبداً .

قالت الدوقةُ هذا وعادت تهدهدُ طفلَها مرةً أُخرى ، وكانت تغنّي له تَرنيمةً لكي تُنوِّمه ، لكنها تهزُّ الطفلَ بشكلٍ عنيف عند آخرِ كلِّ مقْطَعٍ من الأغنية .

وبينما هي تغنّي المقطعَ الثاني من أُغنيتها ، أخذت ترمي بالطفلِ إلى أعلى لتعودَ فتتلقّاه مرةً أخرى . أما

الطفل المسكينُ كان يواصلُ الصُّراخ ، حتى إن أليس لم تعدْ قادرةً على سِماعِ ما تُغنِّيه الدوقة .

وقالت هذه وهي تقذِفُ الطفلَ إلى أليس :

ـ خُذي ! يمكنك أن تهدْهِدي الطفلَ قليلاً ! يجب أن أذهبَ إلى الملكةِ لأُشاركَها الحِياكة .

ثم أسرعتْ خارجةً من الغرفةِ فيما قذَفها الطاهي بمقلاةٍ ساخِنةٍ وهي خارجة ، ولكنها لم تصِبْها .

التقطت أليس الطفلَ بصعوبة ، إذ أنه كانَ مخلوقاً صغيراً عَجيباً ، وكانت أيديه وأرجُلُه تبرزُ في جميع الاتجاهات ، مثلَ حيوان نجمِ البحر تماماً .

كان المسكينُ يشخَرُ مثلَ قاطرةِ البُخار عندما التقطتْه أليس . وأخذ ينطوي على نفسه ثم يعودُ ليمتدَّ مرةً أُخرى ، حتى إن أليس لم تستطِع السيطرةَ عليه في أوَّلِ الأمر .

وحالما تمكّنتْ من معرفة الطريقة التي تهدهِدُه بها ، حملتْهُ وخرجتْ به إلى الخارج ، إلى الهواء الطَّلْقْ . وقد حدَّثت نفسَها : « إذا لم أصطحِبْ هذا الطفلَ معي ، فإنني

متأكدةٌ من أنهم سوف يقتلُونه خلالَ يومٍ أو يومين : أليسَ من الإجرامِ تركهُ هنا ؟ » .

والواقعُ أنها نطقت هذه الكلماتِ الأخيرةَ بصوتٍ مسموع . وقد ردَّ الطفلُ عليها بالخَرِير ، بعد أن توقَّفَ عن العطْسِ عند ذاك . فانتهرتْه أليس :

ـ لا يجوز . إن هذا ليس بالطريقةِ المُثْلَى[1] التي يعبِّرُ بها الإنسانُ عن نفسه .

لكنَّ الطفلَ عاد إلى الخَرِيرِ مرة أخرى . فنظرت أليسٌ بقلقٍ كبيرٍ إلى وَجْهه لترى ما الخَبَر : لم يكن هناك أدنى شك في أنه كانَ لـه أنفٌ يبرز إلى أعلى ، وبدا شكلُه كخَطْمٍ أكثر منه أنفاً . أما عيناه فكانتا تبدُوان صغيرتانِ جداً بالنسبةِ لطفلٍ من حجمه .

لم تكن أليس مسرورة ، بوجهٍ عام ، مِن منظرِ هذا الطفل أبداً ، ولكنّها عادتْ تفكر أنّه ربما كان ذلك يعودُ إلى البُكاء ، فعادت تنظرُ مرةً أخرى إلى عينَيه ، لترى ما إذا كان فيهما دموع . وحدَّقتْ في الطفلِ ، وقالت :

(١) الجيدة ـ الأحسن .

ـ كلاّ ، ما من دموعٍ في عينيكَ أيها الطفل . أما إذا كنت ترغبُ في أن تُصبح خِنزيراً . فسوف أُنهي علاقَتي معك ولا أعودُ أَهتمُّ بك . خُذْ حَذَرَك الآن أيها العزيز .

بَيْدَ أن الطفلَ عاد إلى البُكاءِ أو الخرير ! وهكذا بقيتْ أليس صامتةً لا تدري ما العَمَل . وحدّثتْ نفسَها :

« ما العملُ مع مثلِ هذا المخلوقِ العجيبِ عندما أصِلُ إلى البيت ؟ » .

وعندما عاد الطفلُ إلى الخُوار ، وبشكلٍ عنيفٍ هذه المرّة ، عادت أليس تنظرُ إلى وجهه ، وبذعرٍ هذه المرة . الآن لم يَعُدْ هناك أدنى شك : لم يكن الطفل أكثَرَ أو أقلَّ من خِنزير !

فشعرت أليس أَنه من السخفِ أن تحمله أكثر من ذلك .

وهكذا أنزلتْ ذلكَ المخلوقَ إلى الأرض ، وشعرت بالارتياح عندما رأته يَسيرُ مبتعِداً إلى الغابة . آه . . لو أن هذا المخلوقَ قد كَبِرَ في رعايتها ، لكانَ قد أصبحَ طِفلاً بشِعاً للغاية ، أمّا كخنزير فهو خنزيرٌ جميلٌ للغاية !

بدأت أليس ، عندئذ ، تفكّر في الأطفال الآخرين

الذين سَبَقَ لها أن تعرّفت عليهم ، والذين قد يكُونون خنازيرَ جميلة . وكانت قد بدأت تحدِّث نفسَها وتتمنّى لو كان بمقدورِها أن تهتديَ إلى الطريقةِ الصحيحةِ لتغييرهم - عندما فوجئت برؤيةِ قطةِ شيشاير وهي تجلسُ فوقَ فَرْعِ شجرةٍ على بُعدِ ياردات قليلة منها .

وكشّرت القطةُ عن أنيابها عندما رأت أليس ، لكنَّها بَدَتْ وُدِّيَّة هذه المرة ، ومع ذلك كان لها مخالبُ طويلةٌ جداً وعددٌ كبيرٌ من الأنياب . . حتى إن أليس شعرتْ أنه يجبُ عليها أن تُعامِلَها باحترام .

بدأت أليس الكلام ، إنما بتردُّد ، مناديةً إياها : « أيتُها القِطةُ من شيشاير »، وكانت غيرَ متأكِّدة من أن القطةَ تحبُّ مناداتها بهذا الاسم .وبخاصةٍ أنها زادت من تَكشيرَتها عند ذاك . وظنّت أليس ، أن القطةَ مسرورةٌ ، فقررتْ أن تواصلَ حديثَها معها .

ـ أرجوكِ أن تقولي لي ، أيُّ طريقٍ أسلُكَ من هنا ؟

ـ هذا يتوقف كثيراً على المكانِ الذي ترغبين في الذهاب إليه .

ـ أنا لا يهمُّني كثيراً أين أذهب . .

ـ إذنْ ، لا يهم أيُّ طريقٍ تتَّبعين .

ـ إنني راغبٌ في الوصول إلى أي مكان .

ـ آه ، بالتأكيد ، سوف تتمكّنين من فعلِ ذلك ، إذا ما سِرتِ مسافةً كافية .

شعرت أليس أنه ليسَ بإمكانِها نكرانُ ذلك ، فواصلتْ إلقاء أسئلةٍ أُخرى على القِطة ، فقالت :

ـ ما نوعُ الناسِ الذين يقطُنون هنا ؟

ـ في ذلكَ الاتجاه . . (قالت القطة ذلك ، وهي تشيرُ بأحدِ مخالبها) يقطُن صانعُ البَرانيط . وفي تلك الناحية (وأشارت بمخلبٍ آخر من مخالبها) يقطُن الأرنب . إذهبي لزيارةِ أيٍّ منهما ، فكلاهما مجنون .

ـ ولكنَّني لا أريدُ أن أذهبَ إلى مجنون . .

ـ إن هذا ليس بيَدِك ، فجميعُنا مجانين . أنا مجنونة ، وأنتِ مجنونة .

ـ وكيف تعرفين أنني مجنونة ؟

ـ يجب أن تكُوني كذلك ، وإلاّ لَما جئتِ إلى هنا .

لم تقتنعْ أليس بهذا الحديثِ ، ولكنَّها واصلتْ أسئلتَها قائلة :

ـ وكيفَ تعلمين أنكِ أنتِ مجنونة ؟

ـ أولاً ، الكلبُ ليس بمجنـون . هل تـوافِقين عـلى هذا ، أيّتُها الفتاة ؟

ـ أعتقدُ ذلك .

ـ حسناً إذاً ، إنك ترَيْن الكلب يبدأ في النُّباح عندما يغضب ، ويلوِّحُ بذَنَبه عندما يكون مسروراً . وأمـا أنا ، فإنني أموءُ عندما أكونُ فرحة ، وأُحرِّك ذنبي عندما أكـون منزعِجة . ولهذا فإنني مجنونة .

ـ ولكنني أُسمِّي هذا خَرْخَرَة ، وليستْ عُواءً !

ـ لكِ أن تسمِّي ذلكَ ما شئتِ . هل تشاركين الملكةَ الحياكةَ هذا اليوم ؟

ـ إنني أرحِّبُ بـذلك كثيـراً ، ولكنني لم أتسلَّمْ دعوةً لذلك بعدُ .

ـ سوف تُقابِلينني هناك .

قالت القطةُ ذلك ، ثم اختفت .

لم تفَاجأ أليس بذلك كثيراً ، إذ كانت قد بدأتْ تعتادُ

على وُقوعِ مثلِ هذه الأحداثِ العجيبة . وبينما هي تتطلَّعُ إلى المكانِ الذي كانت تَقفُ فيه القِطة ، وإذ بالقطة تظهرُ فجأةً مرةً أخرى ، وتقول :

ـ على فكرة ، ماذا حدَث للطفل ، لقد نسيتُ تمـاماً أن أستفسِر عنه .

ـ لقد تحوَّلَ إلى خِنزير ، فَعَلَ ذلك بهدوء ، كما لو أنه قد عادَ إلى طبيعتِه الأصلية .

ـ هذا ما اعتقدتُهُ .

قالت القطةُ ذلك ، ثم عادت تختفي مرة أخرى .

وقد انتظرتْ أليس بعضَ الوقت ، على أملٍ أن ترى القطةَ مرةً أخرى ، ولكنَّ القطةَ لم تعدْ إلى الظهور . وبعد دقيقةٍ أو دقيقتين سارت أليسِ في الاتجاه الذي قِيلَ لها عنه بأنه موطنُ الأرنب .

وفي الطريقِ حدّثت أليس نفسَها قائلة : « لقد رأيتُ صانِعي البرانيط من قبلُ ، لذا فـإن الأرنبَ سوف يكـونُ أكثرَ إثارةً لي ، وقد لا يكونُ ثائراً » .

وبينما هي تقولُ هذا ، نظرتْ إلى أعلى ، وإذ بها ترى

القطةَ مرةً أُخرى ، تجلسُ فوقَ غُصنِ شجرة .

وسألتها القطة :

ــ هل قلتِ لي إن الطفلَ تحوَّلَ إلى خِنزير ، أو شجرةِ تين ؟

ــ أنا قلتُ خنزير . وأرجو أن تستمرِّي في الاختفاءِ والظُّهور بشكلٍ مفاجىء . إنكِ تجعلينَ الواحدَ يُصابُ بالدُّوار .

ــ حسناً ، حسناً ، سأرى . .

وأخذتْ تختفي ببطءٍ هذه المرّة ، مبتدأةً من طرف ذَنبها ، ومنتهيةً بالتكشيرة المرتَسِمة على وجهها ، والتي ظلَّت مرتسمةً في المكان إلى أن اختفت القطةُ كليَّة .

وفكّرت أليس :

ــ حقاً ! لقد رأيتُ قططاً كثيرةً دون أن يكون هناك تكشيرةٌ ترتسِمُ على وجهها ، ولكنْ أن أرى تكشيرةً دونَ أن أرى قِطة ، فهذا شيءٌ عجيب . . وأعجبُ ما رأيتُهُ في حياتي كلِّها .

لم تبتعدْ أليس كثيراً حتى ظَهَرَ لها بيت ، فاعتقدت أن



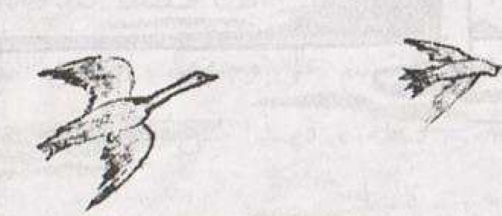
أليس أمام الدوقة وضيفتها

هذا البيتَ لا بُدَّ أن يكونَ هو بيتُ الأرنب ، إذ أن المداخِنَ كانت تشبهُ الآذان ، وأما السقفُ فكان مغطّى بالفرو .

كـان البيتُ كبيراً جـداً ، حتى إن أليس لم تكنْ راغبـةً في الاقترابِ منه قبل أن تكونَ قد قَضَمَتْ بعضاً من الكمـأةِ التي كانت لم تَزَلْ في يدِها اليُسرى ، وزادت في طولِها لكي تبلُغَ القَدَمَين ارتفـاعاً . وحتى ، وبعـد أن فعلت ذلك ، فإنها سارت بأقدامٍ متردِّدةٍ ، وهي تخاطبُ نفسَها :

« لأفترضْ أنني وجدتُه ثائـراً من الجنون بعـدَ كلِّ مـا عانيتُهُ من المشقَّة !! ليتَني لم آتِ إلى هنا بل ذهبتُ لرؤيـةِ صانعِ البرانيط . » .

وهكذا ، سارت أليس في طريقِها إلى الأرنب ، لكنَّها في الواقعِ لم تكنْ تدري إلى أينَ سيُوصِلُها ذلكَ الطريق .



٥

قصة السلحفاة

« ليس بإمكانِك ان تتصوّري مقـدارَ سُرورِي بلُقيـاكِ مرةً أُخرى ، أيَّتُها العزيزة » !

هذا ما نطقتْ به الدوقةُ وهي تطوّقُ أليس بذراعَيهـا بشوقٍ ومحبة ، ثم أَخَذَتا تَسيرانِ معاً .

وشعرتْ أليس بفرحٍ كبيرٍ عندمـا وجدتْ الـدوقة في مثل هذا المِزاجِ اللطيف ، فقالَت تخاطبُ نفسها : « ربمـا يكونُ الفلفلُ هو الذي جَعَلَها شرسةً حينما قابلتْها في المطبخ في المرَّةِ الأولى » .

وأضافت إلى ما سَبَقَ أن فكّرت :

« عندما أُصبح أنا دوقةً ، لن أسمحَ بوُجودِ الفلفل في مَـطْبَخي أبداً . إن طَعْمَ الحِساء لـذيـذٌ دون حاجـةٍ إلى الفلفلِ ، وقد يكون الفلفلُ هو السببُ في جعلِ النـاسِ

سريعي الغضب . » .

وواصلت أليس حديثها لنفسها وهي مسرورة . كيف لا ، وها هيَ أخيراً قد وجدتْ طريقةً جديدةً للحُكم على الأشياء والناس . . فالخلُّ يجعلهم مشاكِسين ـ والبابُونجُ يجعلهم ساخِرين ـ و ـ وسكَّرُ الشعير وأشياء أخرى مماثلةٌ تَهبُ الأطفالَ مزاجاً لطيفاً وطبعاً حُلواً . آهِ لو أن الناسَ يعرفون ذلك ، فقط ! إذن لحَلُّوا كثيراً من مشاكِلهم . وهذا بسيط . . ما علَيهم الا أن يأكلوا أو يشربوا صُنفَ الطعام أو الشرابِ المطلوب لِغَرَضِهم المعينَّ .

كانت أليس قد نسيتْ أن الدوقةَ تسيرُ إلى جانبها وهي غارقةٌ في أفكارِها . وقد فُوجئتْ عندما سمعتْ صوتَ الدوقةِ قريباً من أذنها قائلة :

ـ أنتِ تفكِّرين بشيءٍ ما ، يا صديقتي ، وهذا يجعلُكِ تنسَين الحديث . لستُ قادرةً الآنَ أن أُفسِّرَ لكِ ماذا يعني هذا السلوك ، لكنِّي سوف أتذكَّره بعدَ قليل .

ـ ربما لا يكونُ هنا أيُّ مغزىً أيَّتُها الدوقة ..

ـ آهِ ، آهِ ، أيَّتها الطِفلة ! إنَّ لكلِّ عملٍ وكلِّ شيءٍ مغزى ، وعليك دائماً العثورُ عليه .

ثم اقتربت الدوقةُ من أليس وهي تتحدَّث . وفي هذه اللحظةِ لم تكنْ أليس راغبةً في بقاء الدوقةِ قريبةً منها إلى هذا الحد . وذلك لأسباب : أولاً : أنها كانت ذاتَ وجهٍ بشع . وثانياً : أن طولَها المناسبَ كان يجعلُها تضع ذقنها فوقَ كتفِ أليس ، وكانت ذقنُها هذه حادةً بشكلٍ مزعج . ومع ذلك ، فإن أليس لم تكن ترغبُ في أن تبدُوَ جافة . وهكذا فقد تحمّلت هذا الإزعاجَ إلى أبعدِ حدٍ ممكن . وقالت :

ـ لقد قال بعضُهم ، إن ذلكَ يَتِمُّ ويتوفَّرُ عندما يتوقفُ الناس عن التدخُّل في شؤونِ بعضِهم . أليس هذا صحيحاً ؟

ـ يبدو أن أُمورَ الناس تسيرُ بشكلٍ جيدٍ الآن .

ـ نعم ، إنه لكذلك . أما السببُ في ذلك فهو . . . آه ، آه ، نعم ، إنه الحبّ ، فهو الحبُّ الذي يجعلُ العالمَ يسير !

ـ آه ، حقاً ! هذا هو المعنى المقصود .

قالت الدوقة ذلك ، وهي تضغطُ على كَتِفِ أليس بذقنِها الصغيرة الحادة ، ثم واصلت كلامَها قائلةً :

« أعرفْ ما تريدُ وستعرفُ كيف تعبِّرُ عنه بسُهولة . »

وتَعجَّبَتْ أليس وهي تفكر :

ــ ما أشدَّ وَلَعَها في إيجاد معاني الأشياء !

وفي هذه اللحظة سألتها الدوقةُ :

ــ لا شكّ في أنكِ تَعْجَبِين لماذا لا أضعُ ذِراعَي حول خصرَك ، أيتها الفتاة . . سأشرحُ لكِ السبب : إنني لستُ على ثقةٍ من مِزاجِك السَّريعِ الغضَب ، هل أحاولُ هذه التجرِبة !

ــ انه من الممكن ان يلدغ . .

هكذا أجابت أليس بحذَر ، وهي تشعر بلهفة لتقبُّلِ مثل هذه التجرِبة .

ــ هذا صحيح تماماً ، إن طائِر النُّحام والخردَلَ كِلاهما يلدغ . وهذا مصداقٌ لقول القائلين : ان الطيورَ على أشكالها تَقَعُ .

ــ ولكن الخردَلَ ليس بطائرٍ ، يا سيِّدتي !

ــ أنتِ دائماً على حقّ ، يا لطريقَتك ما أوضحَها في تفسير الأشياء !

ــ أظنُّ أنَّ الخردلَ هو أحدُ المعادن ؟

ــ بالطبْع . . إنه لكذلك .

قالت الدوقةُ هذا ، وكان يبدو عليها أنها على استعدادٍ للموافَقَةِ على كلِّ شيءٍ تقوله أليس . ثم أضافت :

ــ هناك منجمٌ كبير للخَردلِ بالقُربِ من هنا . وهذا يصدِّق المثلَ : كلما كَثُرَ ما لديَّ من شيء ، قلَّ ما لديكِ منه .

ــ آه ، أنا أَعلم ذلك .

بِذلك هتفتْ أليس وإن لم تكن قد انتبهتْ إلى ملاحظةِ الدوقة الأخيرة في أنَّ الخردلَ نوعٌ من الخضار لا المعادن . .

فقالت الدوقة مكرِّرةً ملاحَظتها السابقة :

ــ أنا أوافقُ تماماً على كلامِك ، أيَّتها العزيزة ، وهذا يصدّق قولهم « عِشْ كما تريد » . وإذا شئتِ أن أصِفَها لك بصورةٍ أبسط فإني أقول :

« لا تتظاهَري بأنكِ غيرُ ما يراه فيك الآخرون لو لم تكُوني من أنتِ من ستكُونين » .

ـ لكنَّ هـذا ليس بسيـطاً . إنني لم أفهمْـه . وأظنُّني أستطيعُ فهمه لو كُتِبَ لي . هل تسمحين بذلك ؟

ـ ليس هذا شيئاً بالنسبة إلى ما بمقدوري إيـرادُهُ من الحِكمة إذا شئتُ ذلك .

هكـذا أجابت الـدوقةُ بصـوتٍ مَرِحٍ وشُعـورٍ ظاهـرٍ بالزَّهو والاعتزاز . فقالت أليس :

ـ أرجوك أن لا تُزعجي نفسَك في إعادةِ ما قلتِيهِ مرةً أُخرى .

ـ آه ، لا تتحدَّثي عن الإزعاج ! سوف أُقدم لـكِ هديةً من كلِّ شيءٍ قلته حتى الآن .

وافتكـرت أليس : « يا لـه من نـوع رخيصٍ من الهدايا ! من الخيرِ تماماً أنَّ الناسَ لا يقـدِّمونَ هـدايا عيـدِ الميلاد من مثلِ هـذا الصِنف »، لكنها لم تجـرُؤْ على قولِ ذلك بصوتٍ مرتفع .

ولاحـظت الدوقـةُ صَمْتَ أليس القصيرَ هـذا أثناءَ تفكيرها فقالت :

ـ أراكِ عُدْتِ الى التفكيرِ مرةً أخرى !

قالت الدوقة هذا وهي تـزيدُ من الضغط عـلى كَتِفِ أليس بذقنِها الصغيرةِ الحادّة .

فردَّت أليس بحدَّة :

ـ إن لي الحقَّ في التفكير . على كلِّ حال .

ـ نعم ، لكِ كلُّ الحقّ في ذلك . فالخنازيرُ يجبَ أن تَطير، وهؤلاء ـ وهؤ ـ لا ـ ء .

وفي هذه اللحظة ، ولدهشةِ أليس الكبيـرة ـ وجدتْ صـوتَ الدوقـةِ يتـلاشى ، حتى وهي في منتَصَفِ كلمتهـا المفضَّلة «يصـدِّق » ، التي كانت تنطِقُ بهـا آنـذاك . أمّـا ذراعُها الذي كان يلفُّ ذراعَ أليس فقد أحسّتْ به وقد أخذ يرتجف .

ونـظرت أليس إلى أعلى ، فـرأت الملكةَ تقفُ أمـامَهـا هناك ، وهي شابكـةٌ ذراعَيْها ، عـابسةً وكـأن في تقاطيـع وجهها ما ينبىء عن عاصِفةٍ رَعديّة .

بدأت الدوقةُ الحديثَ بصوتٍ خَفيضٍ واهنٍ قائلة :

ـ يـومٌ جميلٌ ، يا صاحبةَ الجلالة !

فردَّت عليها الملكةُ صارخة :

— إنني أُحذِّرك (وكانت تطرق الأرضَ بقدَمَيها وهي تتكلم) إما أن تذهبي أنتِ أو يذهبَ رأسُك ، وسيتمُّ ذلك في أسرعِ وقتٍ ممكن ! فأيَّهما تفضِّلين ؟

وقد ردّت الدوقةُ على ذلك فوراً ، بأن غادرت المكانَ واختفتْ في لحظةٍ واحدة .

وقالت الملكةُ لأليس : « هلمِّي نُواصلَ المباراة . »

كانت أليس في ذلك الحينِ فزِعةً مرعوبةً وغيرَ قادرةٍ على التفوُّهِ بكلمةٍ واحدة ، ولكنَّها تبعت الملكةَ ببُطءٍ وهي تعودُ إلى أرضِ الملعب .

وكان ضيوفُ الملكةِ الآخرون قد اغتنموا فرصةَ غيابها ، فجلَسوا يستريحون في الظِلّ : ولكنهم هبُّوا من أماكِنِهم وهُرِعوا عائدين إلى مبارياتهم في اللحظةِ التي رأوا فيها الملكة . أما الملكة فقد علَّقت في تلك اللحظةِ قائلة : « إن لحظةً واحدةً من التأخيرَ ستكلِّفُهم حياتَهُم » .

وقد ظلّت الملكةُ طوالَ فترةِ اللعبِ تتشاحنُ مع اللاعبِين الآخرين ، ولم تكفَّ عن ذلك لحظةً واحدة .

كانت تصرُخ : « أطيحُوا برأسِه ! أطيحُوا برأسِها ! وكان الذين تصدُرُ الأحكامُ بحقِّهم ، ما أسرعَ ما يسوقُهم الجنودُ إلى السِجن . حتى إنه بعد فترةٍ قصيرةٍ من الوقتِ أصبح جميعُ اللاعِبين في السِجن فيما عدا الملكَ والملكةَ ، وأليس .

حينئذ غادرت الملكةُ المكانَ وهي تلهث ، وخاطبت أليس قائلةً : أما رأيتِ السُّلحفَاةَ بعد ؟

— كلا ، يا صاحبة الجلالةِ . أنا لا أعرف ما هي السُّلْحَفاة .

— إنها الشيءُ الذي يُصنع منها حِساء السلْحفاة .

— إنني لم أرَ واحدةً منها ، ولم أَسْمعْ باسمِها من قبل .

— تعالي معي إذنْ ، وسوف تَقُصُّ عليكِ السلحفاة قصَّتها بنفسها .

وبينما هم الثلاثةُ يَسرُون معاً ، سمعت أليس الملك يتحدَّثُ بصوتٍ منخفضٍ إلى الجماعة عموماً ، ويقول : « لقد عفَوْنا عنكُم جميعاً ، انصرفوا . » فقالت أليس في نفسِها : « هذا شيءُ حَسَن » إذ أنها في الواقع قد شَعَرتْ بالأسى لهذا العددِ الكبيرِ من الأحكام التي أصدَرَتْها الملكة على أولئك المساكين .

ووقعت أليس والملكةُ أثناء سَيْرِهما على طائرِ الغرفين ، ونصفُه نَسر ونصفُه أسد . وكان يغطّ في نومٍ عميقٍ تحت الشمس ، فنهرته الملكةُ بقولها :

ـ إستفِقْ أيها الكسول ، وخُذْ الصبيَّة لترى السلحفاة ، وتستمعَ إلى قِصَّتِها . أما أنا فيجبُ أن أعودَ لتنفيذِ بعضِ الأحكام التي أصدَرْتُها .

ثم غادرت الملكةُ تاركةً أليس بمفردِها مع ذلكَ الطائر والحيوان ، العجيب .

ولقد نَفَرت أليس من منظرِ ذلك المخلوق ، لكنّها ظنّت بأنها ستكونُ آمِنةً وهي برفقته أكثر مما تكونُ لو عادت مع الملكةِ المتوحشة . وهكذا وقفت تنتظر .

وجلس الغرفين وأخذ يَفْرُك عينيه . ثم بدا له أن يراقبَ الملكةَ إلى أن غابت عن النظَر ، وعندها أخذ يضحك وهو يقول : « كم هو يبعثُ على التَّسلية ! » فسألتْهُ أليس :

ـ وما هوَ هذا الشيءُ المسَلّي ؟

ـ تصوُّراتها . فهي لا تعلمُ أنهم لا ينفِّذون أيَّ حُكْمٍ لها . . مسكينةٌ ! تعالي الآن !

كانت لهجةُ الغِرفينِ في صيغة الأمر المتعالي ، مما جَعَلَ أليس تُفكِّرُ في ضيق شديد :

« ان هذا لشيءٌ مزعج ، كلُّ واحدٍ يقول لي : تعالي ، تعالي . مسكينةٌ أنا . . ما كان أحدٌ يأمُرُني في حياتي أبداً ، أبداً » .

ولكنها رغم نفورها لم تَفُهْ[1] بأيةِ كلمة . لقد سارت وراءَ دليلها البشع المنظر والمخيف .

ولم يسيرا إلّا مسافةً قليلةً حتى أبصرا السُّلحفاة من بُعد . كانت تجلس حزينةً ووحيدةً فوقَ صَخْرةٍ صغيرة ، وعندما تقدَّما إلى مسافةٍ قريبةٍ منها ، تمكّنتْ أليس من سماعها تتنهّد كما لو كان قَلبها يتحطم . ولقد أشفقَتْ عليها كثيراً : وتساءلت : ماذا يُحزنها يا ترى ؟ ثم إنها سألت الغِرفين ، فأجابها بنفس الكلمات التي أجابَ بها حينَ سألته عن الملكة من قبل . لقد قال :

ـ إنها تخيُّلاتها ، فالواقع أنه ليس لديها شيءٌ تحزنُ عليه ، كما تعلمين . إلحقيني !

وهكذا تقدَمتْ أليس والغِرفينُ إلى حيثُ كانت

(١) تنطق ـ تتكلم .

السُلْحَفاةُ تنظر إليهما بعينَين واسعتين تملؤهما الدموع ، ولكنّها لم تقلْ شيئاً .

وحينَ وصلا السلحفاةَ قال لها الغِرفين :

ـ إن هذه الصبيَّةَ ترغبْ في الاطِّلاعِ على قصَّتِك .

وعلى هذا ردّت السلحفاة بصوتٍ عميق ، أجْوَف ، قائلة :

ـ سأرويها لها . إجلسا أنتَ وهي ولا تتفوها بكلمةٍ واحدة إلى أن أنتهي .

وهكذا جلستْ أليس ورفيقُها صامتَين لبضعِ دقائق . وكانت أليس تخاطِبُ نفسُها أثناءَ ذلك قائلةً : « لا أرى كيف أن هذه السلحفاة ستنتهي ، إذا هي لم تبدأ بعد » . ولكنها ظلَّت تنتظر بصبر .

وفي النهاية بدأتْ السلحفاةُ حديثها بتنهُّدةٍ عميقة ، قائلة :

ـ آه . . لقد كنتُ سلحفاةً حقيقية في ذات يوم من الأيام . . .

ثم أتبعتْ هذه الكلماتِ بصمتٍ عميقٍ طويل ، لم يكُن يقطعه سوى صيحةِ هُتافٍ أو تعجُّبٍ عَرَضيةٍ خافتة



أليس والسلحفاة

كان يُطلِقها الغِرفين ، وشهقاتِ البكاءِ المتواصلِ من السلحفاة . وكانت أليس على وشك الوقوفِ والقول : « شكراً لك أيتها السلحفاة على هذه القصة المثيرة » ، ولكنّها لم تكن قادرةً على أن تمنعَ نفسها من التفكير في أنّه لا بدّ وأن يكون هنالك أشياءُ أخرى سوف تبوحُ بها تلك السُّلْحَفاةُ الحزينة . وهكذا فقد ظلّت ساكنةً تنتظر من السلحفاةِ مواصلةَ قصتها .

وبعد شهقاتٍ كثيرةٍ وتنهداتٍ حارقةٍ عادت السلحفاةُ إلى الحديث أخيراً ، وكانت الآن أكثر هدوءاً من ذي قبل ، مع أنها كانت تبكي بين الحين والآخر .

وقالت السلحفاة :

ـ عندما كنّا صغاراً ، ذهبنا إلى المدرسة في البحر . وكان أستاذُنا سُلْحفاً (عُلْجوماً) عجوزاً ، كُنّا نسمّيه السُّلحف الحكيم .

وهنا سألت أليس :

ـ لماذا كنتم تُطلقونَ عليه هذا الاسم ، إذا لم يكُنْ كذلك ؟

ـ لقد أطلقْنا عليه هذا الاسمَ لأنه كان يعلِّمنا . الواقعُ حقاً أنكِ فتاةٌ بليدة ! يجبُ أن تخجلي من نفسِك لإلقائك مثلَ هذا السؤال .

وبعدَ هذا التوبيخِ الغاضبِ ظلَّ الغِرفينُ والسُّلْحَفاةُ صامتَين وهما ينظران إلى أليس المسكينة . وقد شعرتْ أليس في تلك اللحظةِ أنها على وشَكِ أن تغوصَ في الأرض وتختفيَ من أمامهما من شدّةِ الخجل .

ثم إن الغِرفينَ خاطبَ السلحفاة :

ـ هَلُمّي ، أكملي قصّتَك . لا تضيّعي النهارَ بأكمله في سردِها .

وبعد هذا التنبيه واصلت السلحفاةُ الكلامَ قائلة :

ـ نعم ، لقد ذهبْنا إلى المدرسة في البحر ، هذا ما وقع . إنكم قد تصدّقون ذلك .

فقاطعتها أليس قائلة :

ـ أنا لم أقلْ بأنني لا أُصدِّق .

ـ أنتِ قلتِ ذلك على التأكيد . إخجلي يا فتاة !

وهنا انتهرَ الغِرفينُ أليس :

ـ إسمعي : أمسِكي لسانَك يا بنت .

فاستأنفتْ السلحفاةُ حديثَها وقالت :

ـ آه .. لقد حصلنا على أفضلِ تربيةٍ وتثقيف ، وفي الحقيقة ، لقد كنّا نذهبُ إلى المدرسة كلَّ يوم ..

وانفجرت أليس قائلة :

ـ وأنا كنتُ في مدرسةٍ نهارية أيضاً ، وأظنُّه لا داعيَ لأن تتباهي بذلك أيتها السلحفاةُ الحزينة .

ـ وهل كانت لديكم دروسٌ إضافية ؟ أنا ملتهّفٌ ان أعرفَ ذلك .

ـ نعم ، كنا نتعلّم اللغة الإفرنسيَّةَ والموسيقى .

ـ وهل كنتِ تتعلّمين الغسيلَ أيضاً ؟

ـ لا ، بالتأكيد .

هذا ما ردّت به أليس بسُخْطٍ وحَنَق .

ـ آه ، إذنْ لم تكن مدرستُكِ من المدارس الجيِّدة ..

(وبان على السلحفاةِ الارتياحُ وهي تتلفَّظُ بما سبق) .

وأمّا في مدرسَتنا فكان هناك في لائحةِ الدروس :

« الإفرنسية ، الموسيقى ، والغسيل ـ إضافية » .

ـ لكنَّ السلاحفَ لن تحتاجَ إليها كثيراً ، وهي تعيشُ في قعر البحر !

ـ وعلى هذا عجزتُ عن أن أتعلَّمَها ، فاكتفيتُ بتلَّقي الدرس العادي فقط .

ـ وماذا كنت تقولين ؟

ـ بالطبع ، مارستُ اللفَّ والتلوِّي في البدء ، وبعدَها انتقلتُ إلى الفروع الأخرى ، كالحساب ، الطموح ، واللهو والعبث ، والسخرية من الآخرين ، ثم الشَّيْطَنَةِ والقباحة .

وقاطعتْها أليس بقولها : ماذا تَعنِينَ بكلمة قباحة ؟

فرفع الغِرفين مخالبه بدهشةٍ مجيباً :

ـ ماذا ! ألم تسمعي بهذه الكلمةِ من قبل ! أنتِ تعلمين ماذا تعني كلمةُ التجميل ، كما أعتقد ، أليس كذلك ؟

ـ نعم إنها تعني ـ أن يجعل المرءُ ـ أيَّ شيءٍ أجملَ مما هو عليه .

ـ حسناً إذن ، إذا كنتِ لا تعرفين ما تعنيه كلمةُ « قباحة » فيجب أن تكوني مغفَّلة .

وبعد هذا الجواب غير المهذَّب لم تعدْ أليس تشعرُ بالشجاعة في أن توجِّهَ أسئلةً أخرى . لذلك فقد تحوّلتْ إلى السلحفاة ، وقالت : وماذا تعلمتِ في المدرسة أيضاً ؟

ـ كان هناك الألغاز .

وأخذت السلحفاةُ تعدّ المواضيع التي تعلَّمتْها ـ الألغاز القديمة والحديثة مع علم البحار ، والتشدُّقِ وإظهارِ الفصاحة الكاذبة . وكان استاذُ التشدُّقِ هو الأنقليسَ « الحنكليس » الذي كان يأتي مرةً واحدةً في الأسبوع . لقد علَّمَنا التشدّق ، والتمدُّد ، والتلوّي على صورة لفّات .

ـ وماذا كان يشبه ذلك ؟ لا تؤاخذيني إذا ألححتُ في الاستفسار .

ـ ليس بإمكاني الآن أن أُريكَ ذلك بنفسي ، فأنا متيبِّسةٌ كثيراً . أما الغِرفين فلا أظنُّه قادراً على ذلك أبداً . . والسببُ بسيط . إنه لم يتعلَّم هذا الفنَّ أصلاً .

واستاءَ الغِرفينُ من هذا التعريضِ بنقص ثقافته ، فقال :

ـ لم يكن لديّ وقتٌ لذلك . لقد كنتُ أذهبُ إلى معلِّمِ الآداب الكلاسيكية ، وكان أحدَ السلاطين .

فردّت عليه السلحفاةُ قائلة :

ـ آه ، أنا لم أذهب إليهِ أبداً . لقد قِيلَ إنه كان يدْرسُ الضَحِكَ والحزنَ كما سمعت .

ـ نعم ، لقد كانَ يفعلُ ذلك .

هكذا أجابَ الغِرفين وهو يَتنهَّدُ بدوْرِه ، ثم غطّى هذانِ المخلوقان رأسَيهما بمخالبهما .

وسألت أليس بسرعة لكي تغيِّرَ الموضوع :

ـ وكم كانَ عددُ ساعات الدروس في اليوم ؟

فأجابت السلحفاة :

ـ عَشْرَ ساعات في اليومِ الأول ، وتِسْعَ ساعاتٍ في اليوم الثاني ، وهكذا .

ـ يا لَها من خِطةٍ عجيبة !

وودّ الغِرفينُ شَرْحَ واقعِ الحالِ فأضاف :

ـ نعم ، عجيبة . ولهذا السببِ سُمِّيتْ بالدروس ،

لأنهم يدرِّسون من يومٍ الى يوم .

كانت هذه فكرةً جديدةً بالنسبة لأليس ، فأخذتْ تَزِنُها في رأسها قبل أن تُبدِيَ ملاحظَتَها التالية :

ـ إذنْ يجبُ أنْ يكونَ اليومُ الحاديَ عَشَرَ هو يوم عطلة ، أليس كذلكَ أيتها السلحفاةُ المحترمة ؟

بالطبع ، لقد كان كذلك .

ـ وكيف إذنْ تتدبَّرونَ أمرَ اليومِ الثاني عشر ؟

وهنا قاطعَها الغِرفينُ بلهجةٍ صارمة قائلاً :

ـ هذا يكْفِي عن الدروس ، إروِي لها شيئاً ما عن الألعابِ الآنَ أيتها السلحفاة .

ـ يمكن أن أرويَ لها ذلكَ بعدَ حُضُورها المحكمةَ القادمةَ التي ستؤدِّي فيها شهادَتَها. خُذْها يا غِرفينُ إلى هناك .



٦

من الذي سرق الحلوى ؟؟

لما وصلتْ أليس برِفْقةِ الغِرفين إلى قاعةِ المحكَمَةِ رأتْ هناكَ ملِكَ وملكةَ المحكَمَةِ في ورقِ اللعبِ جالسَين فوقَ عرشَيْهما، يُحيطُ بهما جمهورٌ غَفِير[1] . كيفَ لا وقد كان هناكَ جميعُ أنواعِ الطيور والحيوانات ، ودزِّينةٌ بتمامِها من ورقِ اللعب !!

كان « الولدُ » يقفُ أمامهما مغلولَ اليدَيْن ، بين شُرْطِيَّين يقفانِ على جانبَيه لحِراستِه . أمّا إلى جانب الملكِ فقد كان يقفُ أرنبٌ أبيض ، يحملُ بإحدى يدَيْه البوقَ ، ويحملُ في الأُخرى ورقَةً مطويّةً من الصِنفِ النفيس .

كانت هناكَ طاولةٌ في منتصفِ القاعة ، وعليْها صحنٌ كبير مملوءٌ بالحلوى .وكان منظرُ الحلوى مُشهِّياً، حتى إنّ

(١) جمع من الناس .

أليس شعرتْ بالجوع وهي تنظرُ إليها . وأخذت تحدِّثُ نفسَها قائلة : « آهِ لو يَفْرَغون من هذه المحاكمةِ سريعاً ، ويباشِرون في توزيع المرطّبات ! » لكن أمنيتَها هذه كانت بعيدةَ الاحتمال . لذلك أخذتْ تنظر فيما حولها ، لِتمضِيةِ الوقت .

لم تكن أليسْ قد دخلتْ قاعة محكمةٍ من قبلُ ، ولكنّها كانت قد قرأت عن القضاةِ والمحاكم كثيراً في الكتب . لذا سرَّها كثيراً أن استطاعت التعرُّفَ على اسمِ كلّ شيءٍ في تلك القاعة .

لقد قالت أليس مخاطبةً نفسها : « هذا هو القاضي ، لقد عرفْتُه من هذا الشَّعرِ المستعارِ الذي يضعُه فوقَ رأسه . » .

وبالمناسبة ، فإن القاضي لم يكن غيرَ الملكِ نفسِه ، وعندما كان يَلْبَسُ التاجَ فوق الشعر المستعارِ كان يبدو عليه عَدَمُ الارتياح . .

وأردفتْ أليس في حديثها مع نفسها قائلةً :

« وتلك هي مِنصَّةُ القضاة . أمّا تلك المخلوقات الإثنا عشر ، (وقد أسْمَتْهُم أليس كذلك ، لأنهم كانوا جميعاً من

الحيوانات ، والطيور) ، فلا بدَّ أن يكونوا هم المحلّفين » .
وقد كرَّرتْ أليس جُملتها هذه مرَّتين أو ثلاثَ مرّات لنفسها وهي فخورةٌ بنفسها . لقد اعتقدت ، وهي على حقّ ، أن هناك القليلَ من الفتيات الصِّغار اللواتي في سنّها يُدْرِكن معنى هذا كلّه ، كما فعلت هي .

كان المحلَّفون الاثنا عشر مشغُولين بالكتابة على ألواحٍ معدَّةٍ لذلك . فتساءلت أليس : « ماذا يفعل هؤلاءُ ؟ لا يمكن أن يكونَ لديهم شيءٌ يُدوِّنونه ، فالمحاكمةُ لم تبدأ بعد » .

ولم تدرِ لماذا ردَّ عليها الغرفين قائلاً :

ــ إنهم يكتبون أسماءهم ، خوفاً من نِسيانها قبل أن تنتهيَ المحاكمة .

وتمتمتْ أليس :

ــ يا لَلْبُلهاء ! وهل ينسى أحدٌ اسمَهُ بهذه السرعة ! إن هذا لشيءٌ عجيبٌ حقاً .

وفي هذه اللحظة سمعتْ الأرنبَ وهو يصرُخ قائلاً :

ــ الصمت . إلزموا الصمتَ في المحكمة .

وفي هذه اللحظة وضع الملكُ نظَّارتَيه الكبيرتَين على أرنبةِ أنفِهِ ، ونظر بلهفةٍ فيما حوله ، ليرى من هو المتكلّم .

كانت أليس ترى كلَّ ما يدوِّنه المحلَّفون ، وكأنها كانت تقفُ خلفَهم مباشرة . لكن ماذا كانوا يدوِّنون ؟ لقد انهمكوا في تسويد الألواح « بأشياءَ تافهة »، بل لقد كان بإمكانِ أليس أن تَتَبيَّنَ أن واحداً منهم لم يكنْ يعرفُ كيف يتهجَّأُ كلمةَ « تافه »، وقد اضطُرَّ لسؤال جارهِ عن ذلك . ومع ذلك فسوف تبدو ألواحُهم هذه قبل انتهاء المحاكمة ذات منظرٍ جميل وهي مُلَخْبطةٌ بهذا الشكل .

كان لدى أحدِ هؤلاء المحلَّفين قلمٌ يصرّ صريراً مزعجاً . ولم تكن أليس تتحمَّل ذلك بالطبع . لذا فإنها دارت من وراءِ منصَّة القضاء ووقفت خلف ذلك المحلَّف . وعلى الفورِ وجدتْ فرصةً سانحة لاختطاف القلم من أمامه . لقد فعلت ذلك بسرعةٍ مدهشة حتى إن المسكين (وكان بيل ، السَّحْليَّة) لم يتمكَّنْ من معرفة ما حدَثَ لقلمه . وبعد أن تعِبَ من التفتيش عنه ، في كل مكان ، اضطُرَّ أن يكتب بإحدى أصابعه بقيَّةَ ذلك النهار . ولم يكن ما فعله إذ ذاك يفيدُ شيئاً ، فهو لم يترك أيةَ علامةٍ على اللوح .

وقال الملك : يا هيرالد ، (مباشر المحكمة) إقرأْ لائحةَ الاتهام .

وعند ذلك نفخ الأرنبُ الأبيض في بوقه ثلاثَ مرّات ، ثم فتح الورقةَ المطويّة التي كان يحمِلها ، وأخذ يقرأ . وكان ما قرأه كالآتي :

صنعتْ ملكةُ الأسودَ بعض الحلوى
في ذات يوم من أيام الصيف
فأتى ولد الكُبَّة، وسرقَ تلك الحلوى
وذهب بها بعيداً جداً .
انتهت لائحة الاتهام

وعند ذاك قال الملكُ في صوتٍ قضائيٍّ رصين :

ــ والآن ، قرِّروا الحكم أيها المحلّفون .

فقاطعه الأرنب بقوله :

ــ لا ، لا ، يا مولاي . لم يحِنْ الوقتُ بعد . إن هناك الكثيرَ مما يجب القيامُ به قبل إصدار الحكم !

فقال الملك :

ــ أدعُ الشاهدَ الأول .

فأخذ الأرنبُ ينفخ في بوقه ثلاثَ مراتٍ متواصلة ، ثم نادى بأعلى صوته « الشاهدُ الأول ، يتقدم ! » .

كان الشاهدُ الأولُ صانعَ البرانيط . وقد تقدَّمَ وهو يحمل فنجاناً من الشاي في إحدى يديه ، وقطعةً من الخبز والزبدة في اليد الأُخرى . ثم بدأ شهادته قائلاً :

ـ أرجو المعذرةَ يا صاحب الجلالة ، لإحضاري هذه الأشياءَ معي : إذ أنني كنتُ لم أَفْرَغْ بعدُ من تناوُل الشاي ، عندما أرسلتم في طلبي .

ـ كان يتوجَّب عليك أن تكون قد انتهيت من ذلك ، متى بدأتَ ؟

ونظر صانعُ البرانيط إلى الأرنب البرِّي ، الذي كان قد تبعه إلى المحكمة ، وهو يضعُ ذراعَه في ذراع (الزُّغبة) وأجاب :

ـ في الرابع عَشرَ من آذار ، كما أعتقد ، يا صاحبَ الجلالة .

فردَّ عليه الأرنبُ البريّ :

ـ هو الخامسُ عشر وليس الرابعَ عشر .

فقاطعتهُ الزُّغبة : « بل السادس عشر على الأصحّ . »

فقال الملك ، وهو يوجِّه حديثَه إلى القاضي : « أُكتب ذلك » . فأسرعَ القاضي بكتابة ما طلبه الملكُ منه ، على اللوح الذي أمامه . ومن ثم أخذ يجمعُ الأعدادَ ويحوِّلها إلى شِلناتٍ وبِنْسات .

وقال الملك لِصانعِ القبعات : إخلعْ قبعتَك يا هذا .

ـ إنها ليست لي يا مولاي .

فصرخ الملك قائلاً ، وهو يلتفت إلى القاضي :

ـ هل هي مسروقة ؟

وكان القاضي قد أسرع يكتبُ ملاحظاتٍ عن الموضوع مما أفسحَ المجالَ للشاهد أن يقول :

ـ أنا أبيعُ القبعات ، ولا أبقي شيئاً لي منها أبداً ، أنا صانعُ قبّعاتٍ ليس إلاّ .

وهنا وضعت الملكةُ النظاراتِ على عينيها ، وبدأت تحدِّق بشدّةٍ في بائع القبعات الذي تَغيَّر لونُه واصفرَّ ، وأخذ يتململ . وصاح الملك :

ـ أذكر إثباتاتِك ، ولا تكنْ عصبيَّ المِزاج ، وإلاّ

أمرتُ بتنفيذ الحكم فيك على الفور .

ولم يبدُ أن كلامَ الملك قد شجَّعَ صانعَ القبعات كثيراً ، إذ أنه ظلَّ ينقل وَقْفته من قدم إلى أخرى ، وهو ينظر باضطرابٍ إلى الملكة . وفي اضطرابه هذا قَضَمَ قِطعةً كبيرة من فنجان الشاي الذي كان يحملُه بدلاً من أن يأكلَ بعض الخبز والزبد .

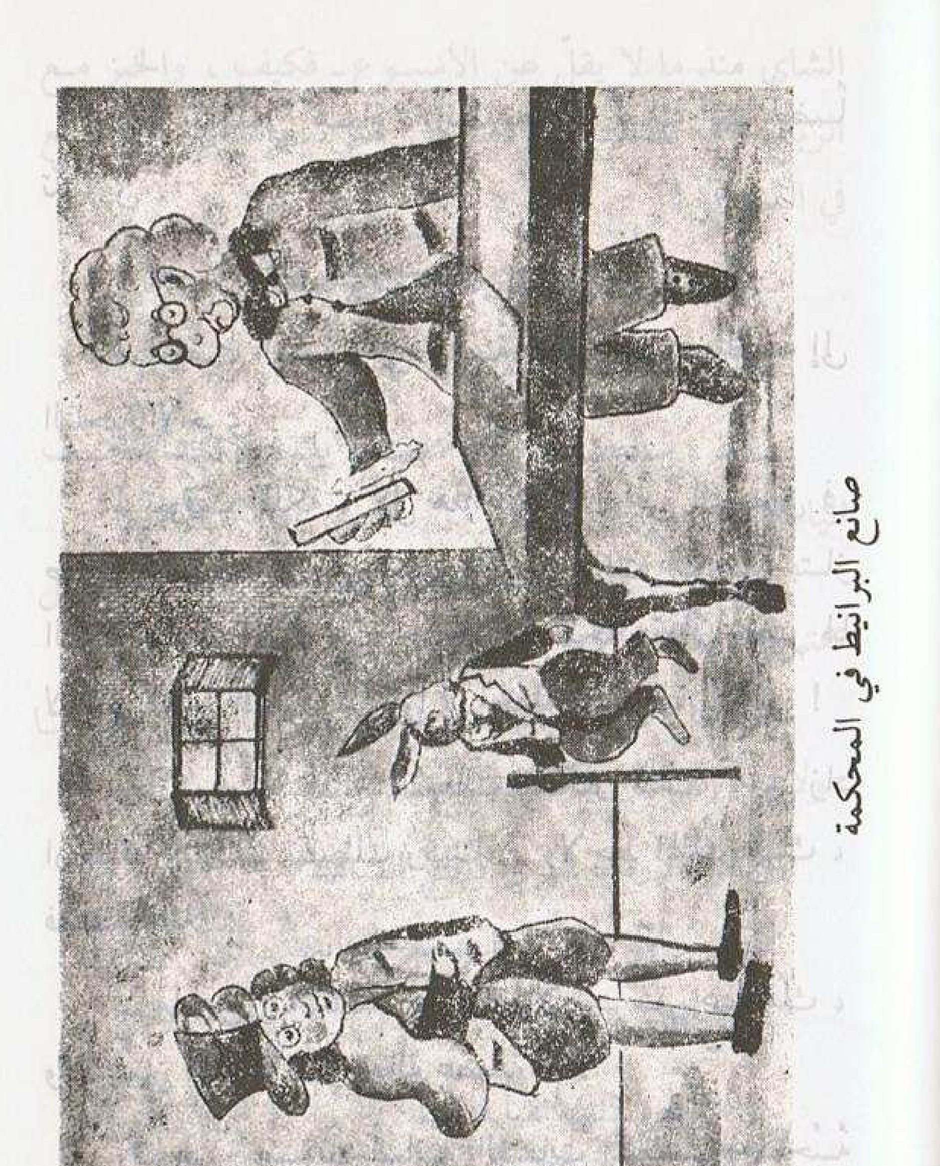
وفي هذه اللحظة شعرتْ أليس بإحساسٍ غريب . وقد حيَّرها ذلك كثيراً إلى أن اكتشفت واقعَ هذا الشعور . فقد عادت تكْبُرُ ويطولُ جِسمُها مرةً أخرى !! وفكّرت أولَ الأمر في أن تنهضَ وتغادرَ القاعة ، ولكنّها عادت وقررت البقاءَ حيث هي . . طالما كان هناك متّسعٌ لها في محلِّها . غير أن الزُّغبةَ التي كانت تجلس إلى جانبها ، التفتت وقالت :

ــ أرجوكِ أن لا تحشُريني . تعلّمي الذوقَ على الأقل . إنه لم يعدْ بإمكاني أن أتنفّس .

فأجابت أليس :

ــ ليس هذا بيدي ، إنني أكْبُرُ .

ــ ليس لكِ الحق في أن تكبري هنا .



صانع البرانيط في المحكمة

ـ لا تتكلّمي هُـراءً ، أنت تعلمين أنّـك أنت أيضـاً تكبُرين .

ـ نعم ، لكنّني أكبر بشكلٍ معقول !

ثم وقفت الزغبةُ وهي عابسةٌ جداً اجتازت القاعةَ إلى الناحية الأخرى .

لم تتوقّف الملكة ، كلَّ هذا الوقت ، عن التحديق في صانع القبعـات . وفي الوقت الـذي كانت الـزغبةُ تجتـاز القاعة طلبت الملكةُ من أحدِ ضباط المحكمة أن يُحضِر لها لائحة المغنِّين الذين اشتركوا في الحفلة الموسيقية الأخيرة !

وما إن سمع صانعُ القبعات المسكين ذلك . حتى زاد ارتجـافهُ وبـدأت تصطكُّ ركبتـاه . ولاحظ الملكُ ذلـك ، فانتهره قائلاً :

ـ ما هي إثباتاتُك ؟ قدِّمْها وإلاّ أمرتُ بإعـدامك ، ولا يهمُّني أنك الآن في حالةٍ عصبية أم لا . .

وتـرجرج صـوتُ صانـع القبعات المنكسرِ وصاحبُـهُ يقول :

ـ أنا رجلٌ فقير ، يا صاحبَ الجلالة إنّني لم أبدأ تناوُلَ

الشاي منذ ما لا يقلّ عن الأسبوع ـ فكيف ، والخبز مـع الزبدة وهما يُضعفان إرادةَ رجلٍ مثلي ـ والشاي وهو يلمع في الفنجان ! !

ـ ما هذا الذي يلمع ؟ أجبْ بوضوح .

ـ لقد بدأ ذلك بالشاي .

ـ آه ـ بـالطبـع ، فإن كلمـةَ « يلمع » تبـدأ بحـرف الياء .

قال الملك ذلك بحدّة لكن بزهو ، ثم أضاف : « هل تعتبرني مغفَّلاً ؟ أكمل ! » .

فواصل صانعُ القبعـات شهادتـه : أنا رجـلٌ فقير يـا مولاي ـ إن أكثر الأشياء تلمع بعد ذلك الشاي . . .

ولكن الأرنبَ البرّيّ قاطعَ الشاهد :

ـ أنا لم أقل شيئاً ! يا صانع البرانيط .

ـ بل قلت !

ـ أنا أنفي ذلك نفياً قاطعاً .

ـ إنـه ينفي ، أليس كذلـك . إنه ينفي . حسنـاً ، أشطُبوا هذا الجزء .

ـ على كل حال ، إن الزُّغبةَ هي التي قالت .

وأخذ صانعُ البرانيط ينظر فيما حوله ليرى إذا ما كانت الزغبةُ ستنفي ذلك أيضاً ، ولكنّها لم تنفِ شيئاً مما قاله صانعُ القبعات . وكيف تنفي أو تردُّ وهي تغطُّ في نوم عميق !

وواصل صانعُ القبعات شهادته قائلاً :

ـ وبعد ذلك ، اقتطعتُ قطعاً أخرى من الخبز والزبدة .

فقاطعه أحد المحلَّفين بقوله :

ـ ماذا قالت الزُّغبة ، أجبني .

ـ هذا ما لا أذكره يا سيّدي .

فقال الملك :

ـ بل يجب أن تتفكّر ، وإلّا أمرتُ بتنفيذ الحكم فيك .

خرّ صانع القبعات المسكين على رُكبتَيه ، بعد أن أوقع فنجانَ الشاي ، والخبز والزبد ، من يده . وأخذ يستعطف الملك قائلاً :

ـ يا صاحب الجلالة ، أنا رجلٌ فقير ، أنا رجل بائس ، أرجو عفوَك يا موْلاي ، فالعفوُ من شِيَمِ الكرام ، وليس أجملَ من العفو عند المقدرة .

ولكن الملكَ ردَّ على استعطافه بقوله :

ـ أنت محدّثٌ فاشل .

وهنا ، ارتفع صوتُ الخنازير بالهتاف . ولكنّ جنود المحكمة أخمدت هذه الأصواتَ على الفور . أما الطريقة التي تم بها ذلك فسوف أُوضحُها لكم .

(كان لدى الجنود كيسٌ كبير مصنوعٌ من الخيش ، وكان مربوطاً بالحبال عند فتحتِه . وإلى هذا الكيس أخذَ الجنودُ يرمون بالخنازير ، ورؤوسُها إلى أسفل ، ثم يجلسون فوقها) .

شاهدتْ أليس هذه الحادثة ، فسرَّها أن اكتسبت خِبرةً بالمحاكم وشروطِ العدالة عند الجنود ، وفكّرت :

« إنني مسرورةٌ إذ رأيتُ ذلك ، فكثيراً ما قرأتُ في الجرائد أنه عند الانتهاء من المحاكمات ، تكونُ هناك محاولاتٌ للتَّصفيق ، لكن الجنودَ في المحكمةِ يُخْمِدونها على

الـــدوام . ولا أدري ، حتى الآن ، ما هي الغـايـةُ من ذلك » .

والآن علينا ان نعودَ إلى متابعةِ ما يجري في المحكمة . ها هو جلالةُ الملك يصرُخُ في وجه صانع القبّعات :

ــ إذا كان هذا كلَّ ما تعلمه ، فإنه يمكنُك أن تنـزِلَ عن منصّة الشهادة .

ــ ليس بإمكاني أن أفعلَ ذلك يا مولاي ، فأنا ، كما ترى ، أقف على الأرض .

ــ إذنْ يمكنك أن تجلس .

وهنا أخذت الخنازيرُ الأخرى تهتف وتخورُ معاً . لكن حضورَ المحكمة لم يهتمَّ لشيءٍ من ذلـك . ومضى صانعُ القبعات يقول :

ــ أنا أفضل أن أنتهيَ من شُرْبِ الشاي .

وكان أثناء كلامه ينظُر بلهفةٍ إلى الملكـة ، التي كانت تقرأ لائحةَ أسماء المغنّين .

فردَّ عليه الملك ، قائلاً : « يمكنك الذهاب الآن .

فأسرع صانعُ القبعات يغادر القاعة حـافياً ، دون أن

ينتظرَ حتى يلبس حذاءه الطويل . وفي هذه اللحظة قالت الملكـة ، موجّهـةً حديثَهـا إلى أحد الضبـاط : « إذهب واقطع رأسه في الخارج » . ولكن صانعَ القبعات كـان قدْ تـوارى عن النظر ، قبـل أن يصِـلَ الضـابطُ إلى مـدخـل القاعة . ومـا أن انتهت الملكةُ « الـرقيقةُ العـواطف » من عبارتها حتى قال صاحبُ الجلالة :

ــ أدعُ الشاهدَ الثاني .

وكان الشاهـد الثاني هـو طباخَ الـدوقة ، الـذي جاء يحمل علبةَ الفُلفُل في يديـه . وقد علمتْ أليس بقُـدومه ، حتى قبـل أن تراه ، لأنها رأت الأشخـاصَ الواقفـين عند مـدخل القـاعة قـد بدأوا يعـطِسون . ووقف الـطبـاخُ في مواجَهَةِ الملك فبادره هذا قائلاً :

ــ أدلِ بإفادتك يا هذا .

ــ كلا ، أنا لن أفعل .

ونظر الملكُ مرتبكاً إلى الأرنب الأبيض . فتكلَّم هذا بصوتٍ منخفض ، وأشار إلى ضـرورة التحقيق مع ذلـك الشاهد . فوافق الملكُ على رأيه وقال :

ــ حقاً ، حقاً ، يجب أن أفعل ذلك .

وبعد أن طوى ذراعَيه ، ونظر عابساً إلى الخادم حتى بدا وكأنّ عينَيه سوف تخرُجان من مِحْجَرَيهما ، سأله بصوتٍ عميق :

ـ من أيّ شيءٍ تُصنع الحلوى ؟

ـ من الفلفل في أكثر الأحيان .

وأجاب صوتٌ ناعس كان يقف خلف الخادم .

ـ من دِبس السكّر .

وصرخت الملكة :

ـ طوّقوا الزُّغبة ، إقطعوا رأسها ! أخرِجوها من القاعة ! اكتِموا أنفاسَها ! ضيِّقوا عليها !

وهكذا عمَّت الفوضى في القاعة عدةَ دقائق ، والجميعُ يحاولون إلقاءَ القبض على الزغبة ، وإخراجها . وعندما هدأت الضجة ، كان الخادمُ قد اختفى .

وقال الملك :

ـ هذا لا يهم ، أحضِروا الشاهد الثالث .

ثم التفتَ إلى الملكة ، وقال لها بصوتٍ منخفض .

« حقاً ، يا عزيزتي ، أظنّه عليكِ أنت الآن ، أن تعيدي التحقيقَ مع الشاهد التالي . إن رأسي يدور من الألم ! » .

وراقبتْ أليس الأرنبَ الأبيض وهو يقلِّب اللائحة ، وكانت تشعر بالفُضول لترى من الشاهدُ التالي . فالمحكمةُ حتى هذه اللحظة لم تحصل على إثباتاتٍ كافية . وتصوّرْ أيها القارىء الصغير كم كانت دهشَتُها بالغة ، عندما صرخ الأرنبُ الأبيض ، بأعلى صوته :

ـ إن إسم الشاهد التالي هو . . . أليس !



٧

شهادة أليس في المحكمة

« إسمعْ ، إسمع ، تمهل قليلاً » . .

هكذا صرختْ أليس وهي تحت تأثيرِ المفاجأة في تلك اللحظة ، ثم أضافت :

ـ يا الله ، كم أصبحتُ كبيرةً خلال هذه الدقائق الأخيرة !

ثم إنها قفزتْ بشكلٍ سريع إلى الأمام ، حتى وقفت فوق منصّة القضاء . وأصاب طرفُ الفسطان الذي كانت تَرتديه المحلّفين ، فطوّحَ بهم فوق رؤوس الحاضرين في القاعة . وهناك ظلّوا ممدَّدين ، يملؤون المكان ، مما أعاد إلى ذاكرةِ أليس قصّة برميل السمك الذي كان قَلَبْتُهُ بطريق الصُّدفة في الأسبوع الماضي ، قبل هبوطِها إلى جُحْرِ الأرنب . وقالت :

— آه ، أرجو معذرتَكم أيها السادة . أنا لم أكن أقصدُ ذلك أبداً .

نطقَتْ أليس بهذه الكلمات برعب ، وأخذت تلتقطُهم واحداً واحداً بأسرع ما أمكنها . إذ أن حادثَ السمكاتِ كان لا يزال في مخيِّلتها . . فهي تعيد الآن ما فعلتْه آنذاك . وكان لديها فكرةٌ باهتة خُلاصتُها أنه يتوجّب عليها التقاطُهم على الفور وإعادتهم إلى منصَّة القضاء . . وإلّا ماتوا جميعاً .

وقال الملك في صوتٍ عميق ينم على الخطورة :

— لا يمكنُ للمحكمة ان تستمرَّ حتى يعودَ جميعُ المحلّفين إلى أماكنهم الصحيحة - جميعهم .

وقد أعاد ترديدَ هذه الكلمة بكل توكيد ، وهو ينظر بقسوةٍ إلى أليس .

وتطلعتْ أليس إلى منصَّة القضاء ، فاكتشفت أنها - بفعل السرعة - لا سوءِ النيَّة أو عدمِ الاحترام - قد وضعت السِّحْليَّة ورَأسُها إلى أسفل . وكانت المسكينةُ الصغيرة تحرّك ذنبها بطريقةٍ كئيبة ، حيث لم تعد قادرةً على

التحرك . وفي سرعة ، عادت أليس ووضعتْها بشكلٍ صحيح .

وحالما أفاقَ القضاةُ من هول المفاجأة ، وتخلّصوا من الصدمة ، وأعادوا التقاطَ ألواحِهم وأقلامهم ، بعد أن تم العثورُ عليها جميعاً - باشروا العملَ في كتابة تفاصيل الحادث ، كما وقع . فيما عدا السحليَّة ، التي كان يبدو عليها الشعورُ بذلّ الانكسارِ والهزيمة إلى درجةٍ لم تُمكِّنها من القيام بأي عملٍ غير الجلوس ، وفمها مفتوح ، فيما هي تحدِّق في سقف القاعة .

وسأل الملكُ ، أليس بقوله :

— ماذا تَعلمين عن هذه القضية ؟

— لا شيءَ أبداً .

— لا شيء على الإطلاق .

— نعم لا شيء على الإطلاق .

— هذا شيءٌ مهم .

قال الملكُ هذا وهو يلتفتُ إلى القضاة . وكان هؤلاء قد بدأوا في تَدوين ذلك على ألواحهم ، عندما قاطعَهم الأرنب الأبيض بقوله : « ليس مهماً ، أهذا ما تعنيه يا

صاحبِ الجلالة ، طبعاً ؟ » .

قال ذلك بصوتٍ يَنِمُّ[1] عن الاحترام ، بينما كان يقطِّبُ جبينه ويسخَرُ منه وهو يتحدَّث . وردَّ الملك :

ــ بالطبع ، إنه غيرُ ذي أهمية ، هذا ما عَنَيْتُه .

وعاد يحدِّثُ نفسه بصوتٍ منخفض « مهم ـ غير مهم ـ غير مهم ـ مهم » كما لو أنه كان يجرب أيّاً من هاتَين الكلمَتين تبدو أرقّ من الأخرى وأحلى نغَماً في الأذن .

وأما القضاة ، فبعضُهم كان قد دوَّن كلمة « مهم » والبعضُ الآخر كلمة « غير مهم » . . وكان بإمكان أليس أن ترى ذلك ، لأنها كانت قريبةً بما فيه الكفايةُ لأن يُسمح لها بالنظر من فوقِ رؤوسهم إلى الألواح التي كانت أمامهم . فقالت أليس في نفسها : « ليس هذا بذي أهمية أبداً » .

وفي هذه اللحظة ، صرخ الملك ـ الذي كان مُنْشَغِلاً لبعض الوقت في تدوين بعضِ الملاحظات في مذكَّرته ـ صرخ قائلاً : « سكوت » . ثم قرأ من كتابه ما يلي :

---

(١) يُظهر .

« المادة ٤٢ ، على جميع الأشخاص الذين يبلغ طولُهم أكثرَ من ميلٍ واحد مغادرةَ هذه القاعة على الفور » .

ونظر السامعون إلى أليس ، ينتظرون ما سوف تردُّ به على ذلك فكان جوابُها الفوريّ :

ــ أنا لا أبلغُ الميل ، طولاً .

ــ بلى ، إنك لكذلك . أنا الملك ، والملك لا يخطىء . . تأدَّبي يا فتاة .

أما الملكةُ فأضافت : بل إنك تبلُغين حوالي الميلَين .

ــ حسناً ، أنا لستُ ذاهبةً على كل حال ، هذا بالإضافة إلى أن هذا القانونَ ليس قانوناً شرعياً نظاميّاً . لقد اخترعتَه بنفسك الآن ، فأنت صاحبُه .

ــ كلا ، أنا لم أخترعْ شيئاً ، إنه أقْدَمُ قانونٍ في الكتاب .

ــ إذاً ، يجب ان يكونَ قانون رقم واحد .

وهنا اصفرّ وجه الملك ، وأغلق كتابه بسرعة . ثم قال :

ــ أيها القضاة ، إنطلِقوا بالحكم الذي ترتأونه . وأقفِلوا بابَ الجدل والنقاش .

لكنَّ هناك إثباتاتٍ أخرى منتظرَة ، يا صاحب الجلالة .

هذا ما قاله الأرنبُ الأبيض وهو يقفز بسرعةٍ أثناء ما كان يتمِّم عبارتَه : « لقد وجدتُ هذه الورقةَ الآن ».

وسألته الملكة :

ــ وماذا بها ؟ بيّن .

ــ لم أفتحْها بعدُ يا صاحبة الجلالة ، ولكنها تبدو وكأنها رسالةٌ ، وهي مكتوبةٌ بخط السَّجين ، وموجَّهةٌ إلى . . إلى . .

لا بدَّ أن تكون كذلك ، إلاّ إذا كان قد كتبها شخص آخر . وهذا شيءٌ غير عاديّ ، كما تعلم .

وهنا استفسر أحدُ المحلَّفين عن الورقة قائلاً :

ــ ولمن هذه الرسالةُ موجَّهةٌ أيها الأرنب ؟

ــ إنها ليست موجهةً لأحدٍ كما يبدو ، فليست مُعنْونَةً من الخارج .

فضَّ الأرنب الرسالة ، وأضاف :

ــ إنها ليست رسالةً ، بل مجموعةً من أبيات الشعر .

ــ وهل هي مكتوبةٌ بخطِّ يد السجين ؟

ــ كلا ، إنها ليست كذلك .

قال الأرنبُ الأبيض ذلك ثم أضاف : « وهذا أغربُ شيءٍ في القصة ».

ونظر المحلَّفون في وجوه بعضهم وقد استولتْ عليهم الحَيرة والاضطراب . وقد ظلُّوا على هذه الحال إلى أن قال صاحبُ الجلالة :

ــ آه . . يجب أن يكون السجينُ قد قلَّد خط شخصٍ آخر .

فانبسطت أساريرُ جميع المحلَّفين عندما سمعوا هذه الإشارة الذكية من الملك . وبدأ الموقفُ آنذاك في غيرِ صالح الولد السجين . . فأسرعَ يقول :

ــ أرجوك يا صاحبَ الجلالة ، أنا لم أكتبها ، وليس بإمكانِ المحلَّفين أن يُثبتوا ذلك . . ليس هناك اسمٌ مكتوبٌ عليها .

ــ إذاً لم توَقعْها ! إن ذلك يجعل القضية أكثر خطورةً

ضدّك . إذ يجب ، في هذه الحالة ، أن تكونَ قد أردت إيقاع الضرر بأحدٍ ما ، ولولا ذلك لكنتَ وقّعتَ على هذه الرسالة كما يوقّع الرجالُ الشرفاء .

كان هناك تصفيقٌ حادٌّ من النظّارة ردّاً على ما قاله الملك . لقد كانت هذه هي المرةَ الأولى التي يقوم فيها الملك بعملٍ شجاع في ذلك اليوم .

وتقويةً لأثرِ التصفيق في النفوس وتأييداً لشجاعة صاحبِ التاج قالت الملكة :

ـ إن ذلك يؤكّدُ جُرْمَهُ يا صاحب الجلالة .

فردّت أليس بصوتٍ جَهوري عالٍ :

ـ كلا . إن هذا لا يُثبِت شيئاً أبداً ، لماذا يُثبت ؟

إنك لا تعلَمين حتى ما هو موضوعُ أبيات الشعر هذه !

وحسماً لما يمكن ان يَنْشَبَ من نزاعٍ قال الملك مخاطباً الأرنبَ الأبيض :

ـ أقرأها لنا بصوتٍ مسموع .

وضع الأرنبُ الأبيض نظارته فوق عينيه . ثم قال :

ـ من أين يجب أن أبدأ ، يا صاحب الجلالة ؟

فردّ عليه الملكُ بحزن قائلاً :

ـ إبدأ من الأول ، ثم واصِل القراءةَ حتى تصل إلى النهاية ، وتوقّفْ بعد الانتهاء منها .

وبعد أن أتم الأرنبُ الأبيضُ قراءةَ ما جاء في الورقة من أبيات الشعر ، قال الملك :

ـ إن ذلك من أهمّ الإثباتات التي حصَلْنا عليها حتى الآن .

وفرك جلالتُه يديه اغتباطاً ، ثم واصل الحديثَ قائلاً :

ـ والآن ، دعوا القضاة يتداولون . .

ونهضتْ أليس لتقاطعَ الملك : « إذا تمكّن أحدُهم من تفسير معنى هذه الأبيات من الشعر ، فسوف أدفعُ له ستّةَ بنساتٍ . ليس هناك ذرّة من المعنى فيها . » .

وأخذ المحلّفون يدوّنون ما كانت تقوله أليس على ألواحِ الكتابة ، فكتبوا « ليس هناك ذرّة من المعنى فيها »،

ولكن ما من واحدٍ منهم حاول ان يقدِّم تفسيراً لما كتب في الورقة .

وبعد اطِّلاع الملك على ما كتب المحلّفون (الأذكياء) قال :

ـ إذا لم يكن هناك معنى لها ، فإن ذلك يخلِّص العالمَ من المشاكل ، كما تعلمين . إننا لسنا بحاجةٍ لمحاولة العثورِ على شيء . ومع ذلك فأنا لست أدري . . .

ثم واصل حديثه قائلاً ـ وهو ينشر أبيات الشعر فوق رُكبته ، وينظر إليها بعينٍ واحدة ـ: « يبدو أنني بدأتُ أرى بعض المعنى لها ، أخيراً . . لقد قال الكاتب : لست بقادرٍ على السباحة » . ثم أضاف ، وهو يلتفت إلى الولد ، ويقول : « أنت لا تعرفُ السِباحة : أليس كذلك ؟ » .

هزّ الولد السجينُ برأسه حزيناً وقال :

ـ وهل أبدو لك كذلك ؟

ـ حسناً .

قال الملك ذلك ، وعاد يتحدَّثُ بصوتٍ منخفض ، ويخاطب نفسه قائلاً : « نحن نعلم بأن ذلك صحيح »

ـ هذا هو القاضي ، بالطبع ـ « أنا أعطيتُه واحداً ، وهم أعطَوه اثنين ـ» لماذا ، يجبُ أن يكونَ هذا ما فعله بالحلوى ؟ أنت تعلم .

وقالت أليس :

ـ ولكنّ ذلك يظلُّ كما هو ويبقى الأمرُ على حاله . لقد عادت جميعُها منه إليك يا صاحبَ الجلالة ! !

ـ « يا لَلعجب ! ها هي » .

قال الملك هذا بابتهاج ، وهو يشيرُ إلى الحلوى الموجودة على الطاولة . « لا شيء يمكنُ أن يكونَ أوضحَ من ذلك . دعوا القضاةَ ينطقون بالحكم الآن » .

وردّت الملكة :

ـ كلا ، كلا ، العقوبةُ أولاً . . والحكم فيما بعد .

فصاحت أليس :

ـ إن ذلك محض هُراء ، إذ كيف يكون هذا ! ! العقوبة أولاً ، والحكم ثانياً !

ـ أمسِكي لسانَك يا من أنتِ في حاجةٍ إلى الأدب .

صرخت الملكةُ بذلك وقد احمرَّ وجهُها من شدة الغضب .

ـ كلا ، سوف لا أُمسك لساني .

ـ إذنْ اقطعوا رأسَها على الفور أيها الجنود ثم نحاكمها فيما بعد .

لكنّ أحداً من الجنود لم يتحرَّكْ . وسُمعت عبارة :

« من يهتم بكِ أيتُّها الحمقاء ، إنكِ لست سوى مجموعةٍ من ورق اللعب ! » .

عند ذلك ارتفعتْ دستةُ ورقِ اللعب في الهواء ، وأخذت تتساقط فوق رأس أليس . فصرخت هذه صرخةً ضعيفة ، بعضُها من أثرِ الخوف ، وبعضُها بفعلِ الغضب ، وحاولت إبعادَها عنها . ووجدت نفسَها مُمدَّدةً على ضفةِ النهر ، وكان رأسها في حِضْنِ شقيقتها ، التي كانت تنفُضُ بعض أوراق الشجر الجافة التي كانت قد تساقطت فوق جبهتها ووجهها . وسمعتْ أليس شقيقتَها تهزُّها برِفْقٍ وتقول :

ـ إستيقظي ، استيقظي يا أليس. لقد مضى عليك

وقتٌ طويل وأنتِ راقدة !

ـ « أوه لقد حلمتُ حلماً عجيباً » .

ثم قصَّت على شقيقتها كل ما وَعَتْه ذاكرتُها من المغامرات العجيبة التي مرَّت بها في منامها . وعندما انتهت أليس من سَرْدِ قصَّتها هذه ، قامت شقيقتُها فقبَّلتها ، وقالت لها :

ـ لقد كان حُلُماً عجيباً حقاً يا عزيزتي ، أما الآن ، فأسرِعي لتناولِ الشاي . لقد تأخرتِ عن ذلك .

وهكذا نهضت أليس وأخذت تجري عائدةً إلى البيت ، بينما هي تفكّر في حُلمها العجيب .



٨

أليس وبيتُ المرآة

هناك شيءٌ واحدٌ مؤكَّد ، وهو أنه لا دَخْل للقطةِ الصغيرة البيضاء أبداً في ما حَدَثَ من ضرر . . بل إن القطةَ الصغيرةَ السوداء هي مصدرُ ذلك الإزعاج كلّه ، والسببُ في ذلك بسيطٌ للغاية . فالواقعُ أن القطةَ البيضاء كانت أثناء الرُّبْعِ الساعةِ الأخير تحت إشراف والدتها ، وهي تغسل لها وجهها .

وقبل أن أُواصلَ حديثي ، أودُّ أن أبيِّنَ الطريقة التي كانت تسير عليها القطةُ الوالدة « دنيا » وهي تقوم بهذا العمل .

كانت تمسكُ ابنتها البيضاءَ من أُذُنيها بأحدِ مخالبها وتفركُ وجهها بالمخلب الآخر ، إنما بطريقةٍ مقلوبة . إذ أنها كانت تبدأ بالأنف . وكانت تقوم بِمُهمَّتها هذه بجدٍّ ظاهر .

أما القطةُ البيضاءُ الصغيرة فكانت تنبطح بهاكنةً تماماً وهي تحاول المُواء . وما من شكٍّ في أنها كانت تشعر في قرارةِ نفسِها بالارتياح إلى ما كانت تقومُ به والدتُها . فهي تدركُ تماماً ان ذلك في مصلحتها هي .

وأما القطةُ السوداء فكانتَ قد انتهت من هذه العمليّة في وقتٍ مبكر من بعد ظُهرِ هذا اليوم . وهكذا ، وبينما كانت أليس تجلس في زاويةٍ من الكرسيّ الكبير ذات الذراعَين ، الموجودةِ في الغرفة ـ أخذتْ تخاطبُ نفسَها وهي تصفُ نائمة . وفي هذه الأثناء كانت الصغيرةُ السوداء تتبارى مع لَفَّةٍ من الخيطان كانت أليس ترمي بها إلى أعلى وإلى أسفل ، حتى تفكّكت جميعُ خِيطانها . وها نحنُ نراها الآن ، تنتثر فوق البساط الموضوعِ أمام الموقِد. إنها معقّدةٌ ومتشابكة . أما القطَةُ الصغيرة فهي تجري خلف طرفِ الخيطان ، وهي تدور في منتصَفِ الغرفة .

صرخت أليس ، وهي تلتقط القطةَ الصغيرة وتقبّلُها ، ثم تحاول أن تُفهِمها بأن ما قامت به لهو عملٌ مخزٍ[1] .

---

(١) مخجل .

ـ آه ، أيتها الشريرةُ الصغيرة . كان من واجبِ والدتك « دنيا » ان تُلقِّنك أصولَ حُسنِ السلوك ! يجب عليك ، يا دنيا أن تفعلي هذا . . يجب أن تفعليه !

قالت أليس ذلك وهي تتحدّث بصوتٍ مرتفعٍ حاولت أن تُضمِّنه نبرةً غاضبةً قَدْرَ ما تستطيع . ثم قفلتْ عائدة ، وهي تحمل القطةَ إلى الكرسي ذات الذراعين ، وجلستْ عليها والقطةُ في حِجْرها ، وعادت تلفّ الخيطان من جديد .

لم تكن أليس تقوم بهذا العمل بسرعةٍ كبيرة ، إذ أنها كانت تتوقف لمخاطَبة نفسها ، أو لمحادثة القطة الصغيرة . وجلست القطة مُسْتَكينةً على ركبَتَي أليس ، تتظاهر بأنها تراقب عملية لفّ الخيطان . وكانت تُخرِج مخلَبها بين الحين والآخر وتلمس اللفّةَ برفقٍ وكأنها تساعدُ أليس في عملها المتعِب . وسألتها أليس قائلة :

« هل تعلمين ما هو الغد ، أيتها القطة العزيزة ؟ كلا ، كان من الممكنِ لكِ ذلك لو وقفتِ إلى جانبي على النافذة ، ولكنّ « دنيا » كانت تُبقيك مقيّدةً طول الوقت ، لهذا لم تتمكّني من معرفةِ ذلك .

كنت أنا أراقب الأطفالَ وهم يلتقِطون الحطبَ لإشعالِ نارٍ في الهواء الطَّلْق ـ وكانت نارُهم بحاجة إلى حطبٍ كثير . ولكنّ الطقسَ بَرَدَ إلى درجةٍ كبيرة ، وأخذت الثلوجُ تتساقطُ بِغَزارة ، مما اضطُرَّ الأطفالَ إلى الإسراعِ في العَوْدةِ إلى منازِلهم اتّقاءً من البرد والثلج .

لا بأس ، أيتُها القطةُ ، سوف أُصْحَبُكِ في الغدِ لنتفرّجَ على النارِ يُشعِلها الأطفال . هذا إذا لم يظلَّ الطقسُ على ما هو عليه الآن . » .

وهنا لفّت ، أليس ، لفَّتَين أو ثلاثاً من الخيطان على عُنقِ القطةِ الصغيرة ، لترى كيف يكون شكلُها في تلك الحال . ونتيجةَ عَملِها هذا ، عادت اللَّفةُ فسقطت من يدِها مرةً أُخرى إلى الأرض ، وأخذتْ تتدحرَجُ هناك ، والخيطانُ تَنْفَلت منها .

وقامت أليس ، للمرّةِ الثانية ، لالتقاطِ الخيطانِ عن الأرضِ ثم عادت إلى جلْسَتِها فوقَ الكرسيّ وأخذت تتحدَّث إلى القطةِ ثانية :

« هل تعلمين ، أيّتُها القطةُ ، أنني غضبتُ منكِ كثيراً بعدما رأيت كُلَّ هذا الأذى كنتِ سَبَبَه ! لقد هَمَمْتُ أن

أفتحَ النافذة ، وأقذفَ بك خارجَها تحت الثلج . هذا أقلُّ ما تستحقِّينَه عِقاباً لك ، أيتها المحبوبةُ المؤْذية . ماذا لديكِ تدافعين به عن نفسِك ؟ لا تقاطعيني الآن » .

ورفعت أليس أصبَعَها محذِّرةً في وجهِ القطة ، ثم استطردت :

« سأُخبرُكِ بجميعِ ما فعلتِه من أخطاء . »

أولاً : لقد صرختِ مرَّتَين متواليتَين ، بينما كانت أُمُّك تغسلُ لك وجْهَك هذا الصباح . لا تُنكري ذلك ، لأنني سمعتُك تفعلين ذلك ، بنفسي ! ماذا تقولين ؟ » .

وأخذتْ أليس تتظاهرُ بالإنصاتِ إلى القطة وكأنها كانت تتكلّم . ثم قالت :

« أنتِ تقولين ، إن أحدَ مخالبها قد دخل في عينك ؟ ولكنّك أنتِ المسؤولةُ عن ذلك ، لأنك أبقيتِ عينَيْك مفتوحتَين . ولو أنك أغلقْتيها ، لما حدثَ هذا . لا تختَلِقي الأعذار الآن ، بل استمِعي لما سوف أواصلُ قوله لك !

ثانياً : لقد جذبت أختَك «بيضة الثلج » من ذَيلِها في

الوقتِ الذي كنتُ أُقدِّم لها طبقَ الحليب ! ماذا ؟ تقولين إنكِ كنتِ عطشى ، وهل كنتِ كذلك حقاً ؟ وكيف إذاً علمتِ بأنها ليست عطشى هي الأخرى ؟

ثالثاً : لقد حللت لي كلَّ الخيطان التي لففتُها وأنا غافلةٌ عنك ، مما جَعَلَها تتشابكُ وتتقطع .

هذه ثلاثةٌ من أخطائك . أما لماذا لم تنالِ عقابَك عليها حتى الآن ، فالسببُ أني أُجمِّعُ لك هذه العقوباتِ حتى يوم الأربعاءِ المقبل . »

في هذه اللحظة ، أخذت أليس تخاطب نفسَها وتقول :

« لأفترضْ أن والدتي جمّعتْ لي كلَّ العقوبات التي أستحقُّها إلى نهاية السنة ، فماذا يفعلون بي ، يا ترى ؟ ربما أُرسَلُ إلى السجن ، عندما يأتي ذلك اليوم . أو دَعْني أفكِّر : لأفترض أنّني أخسرُ وجبة طعام واحدة مقابلَ كلِّ عقوبة . إذن . . أكونُ قد أُجبرت على أن أخسرَ خمسين وجبةَ طعام ، عندما يأزِفُ ذلك النهارُ البائس ! نعم إنني لا أتأثرَ بذلك كثيراً ! فأنا أفضِّلُ أن أفقِدَ هذه الوجباتِ عِوَضاً عن أن أتناولَها ! »

بعد هذه المناجاةِ ، عادت أليس تخاطبُ القطةَ الصغيرة :

« هلْ تسمعين صوتَ الثلج على دُرَفِ النوافذ ؟ كم يبدو صوتُهُ جميلاً وناعماً ! إنه يُشبهُ صوتَ شخصٍ يقبِّل النافذةَ من الخارج ، ولا يتركُ موضعاً بها دونَ تقبيل . أنا أتساءل : هل يحبُّ الثلجُ الأشجارَ في الحقولِ حتى يُقَبِّلَها بمثْلِ هذا الرِفق ؟ ومن ثُمَّ يكسوها بِغِلالة بيضاءَ جميلة ، وربما يهمِسُ لها أيضاً أن « اذهبي إلى النوم أيتها الحبيبة ، إلى أن يَحِلَّ فصلُ الصيف من جديد » . وعندما تستفيقُ في الصيف، فإنها تكتسي بالأوراقِ الخضراء، وتتمايلُ كلَّما هبَّت الريح .

آه، يا لجمال هذا المنظر ! » .

صرخت أليس هذه الكلماتِ بصوتٍ مرتفع ، وأخذت تصفِّقُ بيدَيها جَذِلة ، وقد نسيتْ أنها تحمل لفّةَ

الخيطان بين يديها . ثم فكّرتْ : أم أرجو ان يكـونَ ذلك حقيقةً واقعة ! إنني لعلى ثقةٍ من أن الغابةَ تبدو ناعسـةً في أيام الخريف ، عندما تكونُ أوراقُ أشجارِها قد حالتْ إلى الاصفِرار ، والجفاف .

وعادت أليس تُوَجِّه أسئلتَها إلى القطة ، فسألتْها :

« هـل تلعبيـن الشِّـطرَنْـج ؟ لا تضحكي الآن أيّتُهـا العزيزة ، إنني جـادةٌ في سؤالي هذا . لقـد لاحظتُ وأنـا ألعبُ مع شقيقتي أنك كنتِ تنظرين إلينا ، وكانت نظرتُك تَنِمُّ عن معرفتِكِ لهـذه اللّعبة . وعنـدما قلتُ أنـا « قفْ » أثنـاء اللعب ، أخذتِ أنتِ بـالمُواء ! كـان من الممكن أن أربحَ الشّوط ، لولا ذلك الفرسُ اللعين ، الذي أخذ يشقُّ طريقَـه بين بَيادقي . دعينا نتظاهر ، أيتها القطةُ العزيزة » .

* * *

وهنا سوف أتوقّف قليلاً لأُحدثَ القارىء الصغير بما كانت تقولُه أليس ، ابتـداءً من جُمْلَتِها المفضّلةِ هذه « دعينا نتظاهر » .

لقد تجادلتْ أليس مع شقيقتها بالأمس . وكان السببُ

في هذا الجدال هو قولَ أليس ، « دعينا نتظاهر بأنّنا الملوكُ والملكات » . وبما أن شقيقتها كانت فتاةً واقعيّة ، ولم تكن تتظاهرُ بغير ما هي علَيه ، فقد ردَّت على أليس محاولةً أن تُفْهِمَها أنه ليس بمقدورِهما ذلك ، وهما فتاتان عاديَّتانِ من عامة الشعب . وبعـد جدالٍ طـويل ، عـدّلتْ أليس من موقِفِها ، ولكنّها قالت : « حسناً ، يمكنك إذنْ ، أن تكوني أحدَهما ، وأكونُ أنا جميعَ الباقين » .

وذاتَ مـرّةٍ ، أوقعت أليس الرعبَ في قلب مـربّيَتِهـا العجوز ، عندما صرخت فجأةً في أُذنها ، قائلة : « أيتهـا المـربيّة ! دعينـا نتظاهـر بأنني أنـا الضَّبْعُ الجـائـع ،وأنتِ الفريسة الثمينة » .

ولكن . . ما لَنا ولهذا ، فإنـهُ يبعدنـا عن قصة أليس والقطة ، ولنستمعُ إلى ما كانت تقولُه أليس للقطة :

* * *

« دَعينا نتظاهر . أنتِ ، أيّتها القطةُ العزيزة ، تكونين الملكةَ الحمراء ! ولـكنْ، هـل تعلَمِينَ ، أنـك لو تجلسين مُنْتَصِبَـةً ،وتضمّـين ذراعَيْـك ـ فإنني أعتقـدُ أنـك سـوف

تُصبحين شبيهةً بها على أكمل وجه . والآن ، أرجوكِ أن تجرِّبي ».

كان لدى أليس دُميةٌ للملكة الحمراء ، وكانت موضوعةٌ فوق الطاولة ، فقامتْ من مكانها وأحضرتْها ، ثم وضعتْها أمامَ القطة ، كأُنموذجٍ لها ، تقلِّدهُ القطة . ولكن هذه العمليَّة لم تكدْ تنجح . إذ رفضت القطةُ أن تضمَّ ذراعَيْها بشكل صحيح . ولكي تعاقِبَها أليس على عِنادِها حملَتْها وذهبتْ بها الى المرآة ووقفت أمامها . وهناك جعلت القطةَ تراها وهي في عُبوسِها ، ثم قالت لها : « إذا لم تحسِّني أخلاقَك على الفور ، فإنني سأضَعُكِ داخلَ المرآة ، كيف ترين هذا ؟ ».

«والآن ، أيَّتُها القطة العزيزة ، إذا بقيتِ صامتةً ولم تتكلَّمي كثيراً ، فسوف أُخبرُك بجميع ما أعلَمُهُ عن بيتِ المرآة ، هناك أولاً ، الغُرفَةُ التي تَريْنَها من خلالِ المرآة ، وهي تشبه غرفةَ الرسم لدينا ، تماماً ، إنما تبدو الأشياءُ فيها مَقلُوبة . وأستطيعُ رؤيَتَها عندما أقفُ فوق الكرسي . عند ذلك أرى كلَّ شي باستثناءِ القِسم الموجودِ خلف المرآة . آه ، كم كنتُ أرجو لو أتمكَّنَ من رُؤْيةِ ذلك الجزءِ

أيضاً ! وقتَذاك أعلمُ ما إذا كان لَديهم نارٌ للتدفئة في الشتاء أم لا . ليس بالإمكانِ التثبُّت من ذلك كما تعلَمين ، ما لم يَنطلقْ الدخانُ من نارِ مدفأتنا . وعندئذٍ يصعدُ هذا الدخانُ ليدخُلَ تلكَ الغرفة . لكنْ ذلك يمكنُ أن يكونَ سِتاراً فقط ، لكي يُظهرَ أهلُ الغرفةَ أنّ لَديهم مِثل هذه النار . حسناً إذن ، وأما الكتُبُ فهي شبيهةٌ بكتبِنا ، وأما الكلماتُ فتبدو مقلوبةً فقط ! أنا أعلمُ ذلك . . لقد حملتُ أحدَ كتبي مرَّةً ووقفت أمام المرآة ، فحلمتْ فتاةٌ مثلي كتاباً مِثلَه تماماً في الغرفة الأخرى .

هل تحبِّينَ السكنى داخل بيتِ المرآة أيتها القطة !! وهل تراهمُ يُقدِّمون لك الحليبَ هناك ؟ ربما يكونُ حليبُ المرآة غير صالحٍ للشُّرب . ولكن آه ، ها قد وصلْنا إلى الممرّ . وبإمكانِك الآن أن تَريْ جزءاً صغيراً من الممر الموجودِ في بيت المرآة ، إذا ما أبقيتِ بابَ غرفةِ الرسم مفتوحاً على مِصراعيه . إنه كثيرُ الشَّبهِ بممرّ بيتِنا إلى حدٍّ بعيد ، غير أن هناك بعضَ الاختلاف في مؤخَّرتِهِ .

كم يكونُ جميلاً يا قطَّتي اللطيفةَ لو نتمكَّنُ أنا وأنتِ من الدخولِ إلى بيت المرآة ! أنا واثقةٌ من وجودِ أشياءَ

كثيرة وجميلة هناك . دعينا نحاولُ ان نتظاهرَ بأننا قد وجدْنا طريقا استطعنا بها الدخولَ بصورةٍ ما . دعينا أيضاً ، نعتقدُ أن الزجاجَ مصنوعٌ من مادّةٍ ليّنة مطّاطة تسمحُ لنا بالدخول من خِلاله . يا لَلعَجَب ! ها قد بدأ الزجاجُ يتحوَّلُ إلى نوعٍ من الضَّبابِ . وهذا ما يشجّعُني على القولِ بأنه سيكونُ من السَّهلِ علَيْنا المرور » .

كانت أليس قد وقفت الآنَ فوقَ وِجاقِ المدخنة ، وهي لا تدري كيف وصلتْ إلى هناك .

كان الزجاجُ قد بدأ يتبخّر ، تماماً ، مثل ضبابٍ فضّيِ اللّونِ لماع . وفي اللحظةِ التاليةِ أصبحت أليس داخل المرآة . . فقفزت بخفّةٍ وهي تهبطُ إلى داخل الغرفةِ العجيبة . وكان أولَ شيء قامت به عند ذاك هو البحثُ عما إذا كانت هناك نار في المدفأة . وقد سُرَّت كثيراً عندما وجدتْ ناراً حقيقيةً هناك ، وكانت تتوهجُ مثلما تفعلُ النارُ التي تركتْها أليس خلفها .

إذ ذاك خاطبتْ أليس نفسَها قائلة : « آه ، سوف أتمتّع بالدفء ههنا مثلَما كنتُ أتمتع به في الغرفةِ القديمة ، بل الواقعُ أن هذه أدفأ . آه ، كم يكونُ مسلّياً ، عندما

ينظر إليّ أفرادُ العائلة من خلال المرآة هنا ؛ ولا يتمكّنون من الإمساك بي ! . »

وبدأت أليس تنظرُ فيما حولها . فلاحظتْ أنه يمكن رؤيةُ كلٍّ ما تجدهُ هنا ، في الغرفة القديمة . لقد كان الأثاث مألوفاً وعادياً وغيرَ مثيرٍ للاهتمام ، ولكنّ ما تبقّى كان يختلفُ قليلاً عن ذلك . فالصُّوَرُ المعلَّقةُ على الحائط إلى جانب الموقد ، مثلاً ، كانت تبدو مليئةً بالحركة . وحتى الساعةُ المعلَّقةُ فوق المِدخنةِ كان لها رجلُ عجوز ، وكان يبتسم ابتسامةً عريضة .

وقالت أليس تخاطب نفسها : « يبدو أنهم لا يُبْقُونَ هذه الغرفةَ مرتّبةً مِثْلَ بقيّةِ الغُرفِ الأخرى » . وذلك لأنها لاحظت عدداً من قِطعِ الشطرنج في الموقدِ بين الرماد . ولكنها بعد لحظةٍ واحدة ، كانت تسيرُ على يَدَيْها ورِجلَيها وقد اطلقت من فمها صرخةً تَنِمُّ عن الدهشة . وأخذت أليس ترقُبُ قِطعَ الشطرنج : لقد كانت هذه القطعُ تسير فيما حولها ، اثنين ، اثنين ، اثنين !

« ها هو الملكُ الأحمر ، وها هي الملكةُ الحمراء » . أخذتْ أليس تردّدُ ذلك بصوتٍ منخفض ، خوفاً من إخافَتِها ، و «هناك الملكُ الأبيضُ والملكة البيضاء يجلسان

على حافَّة الرَّفْش . وهنا أيضاً بَيْدَقانِ من القِلاع يسيران وهما مُتَشابِكا الأيدي . أنا لا أظنُّ أن بإمكانهما سماعي » .

ثم واصلت حديثَها ، وهي تخفضُ رأسَها إلى مسافةٍ أقرب ، « إنني واثقةٌ من أنهما لا يَريانني أيضاً . إنني أشعرُ بأنني غيرُ منظورة » .

وهنا بدأ شيءٌ ما يُطلِقُ صوتاً قصيراً حاداً من على الطاولة ، مما جعل أليس تديرُ رأسَها في الوقتِ المناسب . ورأت أحدَ البيادق الضعيفةِ يتدحرج ، ثم بدأ يرفس . فوقفت أليس ترقُبُه بِفُضولٍ كبيرٍ لترى ما سوف يحدُث بعد ذلك .

في هذه اللحظةِ صرخت الملكةُ البيضاء قائلة : « هذا صوتُ ابني » ، بينما هي تهرعُ من أمام الملكِ بشكلٍ عنيف ، حتى إنها اصطَدَمَتْ به وأوقعتْه فوقَ الرماد .

« يا زَنْبَقَتي الغالية ! يا هُرَيْرَتي العظيمة ! »

أخذت الملكةُ البيضاء تردِّد ذلك ! ومن ثم بدأت تتسلَّقُ جانبَ الحاجِزِ بعزمٍ وإصرار .

في ذلك الحين ، كان الملكُ قد نهض واقفاً من

سَقْطتِه ، وهو يفرُك أنفه ، الذي لَحِقَهُ هَشْمٌ بسيطُ أثناءَ سقوطه . وكان محقّاً في أن يكونَ مغتاظاً . فقد كان الملكُ الجليلُ معفَّراً بالرمادِ من رأسِه إلى أخمصِ قدميه .

كانت أليس تتلهَّفُ لتقديمِ المساعدةِ لتلك العائلةِ الملكيَّة الكريمة ، وبخاصّةٍ ان الزنبقةَ الصغيرةَ المسكينةَ كانت قد انفجَرتْ من البُكاء تقريباً . وهكذا تقدَّمتْ أليس بسرعةٍ فأمسكت بالملكةِ وأجلَسَتْها فوق طاولةٍ إلى جانبِ ابنتها الصغيرةِ التي كانت أشبهَ بكيسٍ معبأٍ بالصُراخ .

جلست الملكةُ وهي تلهث ، إذ أن هذه « الرحلةَ » السريعةَ في الهواء قد قطعتْ أنفاسها . ولمدة دقيقةٍ أو دقيقَتين لم يكن بمقدورِها أن تفعل شيئاً غير ضَمِّ « الزنبقةِ الصغيرة » إلى صدرِها بصَمْت .

وعندما استعادت الملكةُ أنفاسها قليلاً ، زعقت إلى الملكِ الأبيض ، الذي كان يجلسُ مقطَّبَ الجَبين بين الرماد وقالت :

ــ إنتبهْ من البركان !

ــ أيُّ بركان هذا الذي تتحدَّثين عنه ؟

هكذا أجابَ الملك ، وهو ينظرُ بقلقٍ إلى النار ، وكأنه يعتقدُ بأنها هي المكانُ الأكثرُ احتمالاً للعثورِ على البركان فيه .

وقفتْ أليس ترقبُ الملكَ الأبيض وهو يكافحُ ببطءٍ في سَيرِه متنقلاً من حاجزٍ إلى آخر . وضايقَها بطؤُه هذا حتى إنها قالت له في النهاية :

« سوف تمرُّ ساعاتٌ وساعاتٌ قبل ان تَصِلَ إلى الطاولة . من الأفضلِ أن أُساعدَك ، أليس كذلك ؟ » .

لكن الملكَ تجاهلَ السؤال ، ولم يردَّ عليه . وكان واضحاً ان صاحبَ الجلالة غيرُ قادر ، لا على سماعها ، ولا على رُؤْيتها . لذلك التقطْته أليس بِرفق كثير ، ورفعته ببطءٍ أكثر مما رفعتْ به الملكة . كلُّ هذا حتى لا تُخمِدَ أنفاسه . ولكنها قبل أن تَضعَه على الطاولة ، فكّرت أن تُنظِّفه قليلاً من الرّماد .

وقد قالت أليس لنفسها فيما بعدُ إنها لم تَرَ في حياتها وجهاً يعلوه الفَزَعُ مثلَ وجهِ ذلك الملك ، حين وجَدَ نفسَه معلّقاً في الهواء على يدٍ خفيّةٍ كانت تمسكُ به وتنظِّفُه . لقد كان المسكينُ في حالةٍ كبيرة من الاندهاش أذهلتْه حتى عن

الصُّراخ . ولكنّ عينَيْه وفَمه أخذت تكبُرُ وتكبر ، كما تستدير وتستدير ، إلى أن ارتجّت يدُ أليس من الضَحِك وكاد يُفلِتُ منها ويسقطُ على الأرض . إذ ذاك كان سيتحطَّمُ رأسُ الملك في كل حال . وقد قالت له أليس :

« أوه ! أرجوكَ لا تنظرْ إليَّ هكذا ، يا عزيزي ! إنك تجعلُني أَضحك حتى يَبَاتُ من الصَّعب عليَّ أن أظلَّ ممسكةً بك ! لا تُبقِ فَمَك مفتوحاً بهذا الشكل ! إن الرمادَ سوف يدخُلُ إليه . والآن ، أعتقدُ أنك أصبحتَ مرتَّباً بما فيه الكفاية ! » .

قالت ذلك وهي تُمَهِّدُ له شَعرَه ، ثم أنزلته برفقٍ فوق الطاولة بالقربِ من الملكة .

سقط الملكُ من فَورِه منبطحاً على ظهره ، وظلّ ساكناً تماماً . وجزِعتْ أليس عندما رأت ذلك ، وشعرت أنها هي الملومةُ لِمَا حَدَثَ لِلملكِ المسكين. فأخذت تدور في الغرفة باحثة عن ماء ترش بعضه على وجهه كي يُفيق . ولكنّها لم تَعْثُر إلا على زجاجةٍ من الحبر . وعندما عادت بها وجدت الملكَ قد صحا من غَيْبُوبَته، وهو يتحدَّثُ مع الملكةِ بهمساتٍ مرتَعِبة . كان صوتُهما خافتاً إلى درجةٍ

لم تمكّن أليس من الاستماع إلى ما كانا يتهامسان به إلا بصعوبةٍ كبيرة .

كـان الملكُ يقول : « اؤكّدُ لك يـا عـزيـزتي ، أنني شعـرتُ وقـد أصبحتُ مثـلَ قـالبِ الثلج حتى أطـرافِ لحيتي » .

فردّت عليه الملكةُ : « ولكنه لا لِحية لك !! » .

ـ لا يُمكنني أن أنسى هولَ تلك اللحظة ، لا يُمكنني نسيانُها أبداً ، أبداً !

ـ بل سوفَ تنساها بالتأكيد ، إذا لم تسجِّلْها في دفترِ مذكراتك .

وقد نظرت أليس باهتمام كبير عندما رأت الملكَ يُخرجُ دفترَ مذكّراتٍ ضخماً من جَيبه ويبدأ الكتابة . وطـرقتْها فِكرةٌ مفاجئة ، فأمسكتْ بطرفِ القلم ، الذي كـان يَبْرُزُ قليلاً فوقَ كَتِفيه ، وبدأت تكتُب له .

وبدتْ على الملكِ أماراتُ الحَيْرَةِ والتّعاسة ، وحـاولَ تحريرَ القلمِ لبعضِ الوقتِ دُونَ أن يتلفَّظَ بِكَلِمَةٍ واحدة . لكن أليس كانت أقوى منه ، فتخلّى عن مُحاولَته هذه آخرَ الأمر وهو يلهث :

ـ يا عزيـزتي الملكة ! علـيّ أن أُحضِرَ قلماً أرفـعَ من هذا . أنا عاجز عن الكتابة بهـذا القلم . إنه يكتُبُ كـلَّ شيءٍ ما عدا الأشياءَ التي أرغبُ في كتابتها .

ـ وما هي تلك الأشياءُ التي تتحدَّث عنها ؟

وأخـذت الملكةُ تنظرُ إلى المفكّرةِ التي كـان يحمِلُها . وكـانت أليس قـد كتبتْ فيهـا « الفـرسُ الأبيضُ ينـزلقُ منحدراً عـلى القضيب ، وهــو يحتفِظُ بتوازُنـهِ بشكـلٍ رديء » .

كان هناك كتابٌ موضـوعٌ فوق الـطاولة بـالقربَ من أليس ، وبينما كانت جالسةً تراقبُ الملكَ الأبيض (وهي لا تزال محتفظةً بزجاجة الحبر لترُشها عليـه ، إذا ما عـادَ إلى الإغـماءِ مرة أخـرى) أخذتْ تقلِّبُ صفحـاتِ الكتـاب ، تفتّشُ عن شيء ما ، تقرأُه . لكنها لم تعثرْ على شيء . إذ أن الكتابَ بمُجْمَلِه كان مكتوباً بلُغةٍ لا تعرفها .

أخذت أليس تفكِّر محتارة في أمر هذه الكلماتِ المدوَّنة في الكتاب . وأخيراً واتَتْها فكرةُ لامعة ، تهلّلت أساريرُها لها . فصرخت قائلة : « آه ، إنه كتابُ المرآة ، بالطبـع ! فلو أمسكتُ به ووقفتُ أمام المرآة ، لعادت الكلمـاتُ فيه

إلى حقيقتها ثانية . » .

وفعلت أليس ذلك ، فوجدتْ أن ما كان مدوَّناً في الكتاب ليس إلاّ مجموعةً من أبياتِ الشِعر ، فأخذت في قراءتها .

وبعدما انتهت من ذلك اعترفت بأنها أبياتٌ جميلة وإن كانت عسيرةَ الفهم . والواقعُ أن أليس ، لم ترغبْ في الاعتراف ، حتى لنفسها ، بأنها لم تفهم شيئاً مما قرأته . فقد لخَّصتْها بقولها : يبدو أن فيها شيئاً لستُ أدري تماماً ما هو ! على كلِّ حال ، إن أحداً ما قَتَلَ أحداً ما .

ثم فطِنت أليس إلى المكان الذي كانت فيه فقالت :

ـ آه . . ! إذا لم أُسرِعْ توجَّبَ عليَّ العودةُ من خلال المرآة ، قبلَ أن أرى بقيَّة البيت ! إذاً دعني أُلقي نظرةً على البستانِ أولاً !

وبسرعةٍ أصبحتْ أليس خارج الغرفةِ في لحظةٍ واحدة ، وأخذت تهبِطُ إلى أسفل . والواقعُ أنها لم تكن تجري تماماً ، بل كانت تخترعُ طريقةً جديدةً للهبوطِ إلى أسفلَ بسرعةٍ وسهولة ، كما قالت أليس لنفسها . أما طريقتُها الجديدة هذه فهي أنها أَبْقَتْ رؤوسَ أصابعها فوق

الدرابزين ، وسبحتْ برِفقٍ إلى أسفل دون أن تَلْمَسَ الأرضَ بقدَمَيْها ، ثم سبحت عَبْرَ القاعة . وكانت ستُواصل خروجِها بهذه الطريقة ، لو لم تُمْسِك بالباب . وكانت بدأت تحسُ بالدُّوار ، لكثرةِ ما سَبَحت في الهواء . لذا فقد شعرت بالسّرور ، حين عادت إلى السَّير بِطريقةٍ عاديّة مرةً أخرى .



الأســد

٩

في بستان الزهور الحية

وقفت أليس تنظرُ إلى البستانِ وهي تُناجي نفسها ، قائلة : « يجب أن أتفرَّج عليه بطريقةٍ أفضل . عليَّ أن أتسلَّق تلك التلةَ التي تبدو أمامي هناك . ولكن ، أين الطريقُ المؤدِّيَةُ إليها ؟ آه ، ها هي ، بالتأكيد . إنها الطريقُ الصحيحةُ التي تقودُني إلى تلك التلّةِ بصورةٍ مباشرة » .

سارت أليس بضع ياردات على تلك الطريقِ ، ثم توقَّفت مرةً أخرى ، وهي تقول : « كلا ، إنها لا تفعلُ ذلك » . (وكان هناك عدد من المنعَطَفات الحادّة ، وقد انعطفت أليس حول عددٍ منها) ولكنني أعتقدُ أنها سوف تقودني إلى هناك في النهاية .

ما أعجبَ هذا الطريقَ وما فيه من تعرُّجاتٍ

والتـواءات ! إنه يبـدو شبيهاً بِفَلِّينـةِ الزجـاجة أكثر منـه بالطريق ! ومهما يكن ، فلا زلتُ أعتقدُ أن هذا المنعطفَ الـذي يبدو إلى الأمـام سوف يقـودُني إلى التلّة . ولكن ، كلا ، إنه لا يؤدِّي اليها ! بل هو يسيرُ مباشرةً إلى البيت ! حسناً إذن ، سأحاولُ تجربة طريقٍ آخر » .

وهكـذا أخذتْ أليس تتحـوّلُ رائحـةً غـادِيـة ، هنـا وهنـاك ، تفتّشُ المنعطفـاتِ واحـداً إثـر الآخـر . ولكن النتيجةَ كانت دائماً واحدة ، فالطريقُ تقودُها إلى البيت في كلِّ مرة ، مهما كان الاتجاهُ الذي تسيرُ فيه . وكـانت تقوم بـإحـدى جَـوْلاتِهـا ، وهي تَسيرُ منـدفعـةً حـول أحـد المنعطفات ، إذْ بها تصطدم بواجِهة البيت قبل أن تشعر ، وقبلَ أن تتمكّنَ من إيقاف اندفاعِها .

أخذت أليس تفكّر : ما العملُ الآن ؟ ما لي والحديثُ عن البيتِ في هذه الآونة !

وأخـذت تنـظر إليـه كـما لـو كـانتْ تتجـادلُ معـه . وقالت :

« كـلا ، لا أرغبُ في الدُّخـولِ بعد . إنني أعلمُ أن جميع مغامراتي هذه سوف تنتهي ، إذا ما مَرَرْتُ عَبرَ المرآةِ

مرّةً أخرى ثم عُدْتُ إلى الغرفة القديمة » .

وهكـذا ، أدارت أليس ظَهـرَهـا إلى البيتِ وهـي مصمِّمةٌ على أن تظلَّ تسيرُ حتى تصلَ إلى التلة .

ولقد بدأت سَيْرَها مرةً أخرى ، وسار كلُّ شيءٍ علـى ما يُرامُ في الـدقائق الأولى ، وكـانت أليس تقول : « آه ، سوف أنجحُ في الوصولِ هذه المرة » إذْ بالطريقِ تنعـطِفُ أمامها بصورةٍ مفاجئة لترى نفسَها في اللحظةِ التاليةِ وهي تمشي أمامَ الباب . وعند ذلك تأفّفت :

آه ، ما أفظعَ ذلك ! لم أرَ في حياتي بيتاً ينتصبُ وِسْطَ الطريقِ مثل هذا البيت ! أبداً ، أبداً .

ولكنّ التلّةَ كـانت مـا تـزالُ تبـدو أمـامهـا واضحـةً للعَيَان . ومن ثُمَّ ، لم يكنْ أمامَ أليس سوى خَيارٍ واحد ، هو البدءُ مـرةً أخرى . وفي هـذه المرةِ وصلت أليس أمـامَ حوضٍ كبيرٍ من الزهور كان له حاشيةٌ من زهـورِ الربيـع وتقومُ وَسَطِهِ شجرةُ صفصافٍ طويلة .

أخـذت أليس تنظُرُ بـدَهْشَةٍ إلى هـذا المنظرِ الجميل الذي بدا لها ، فرأتْ أمامها زَنبقةً جَميلةً تتمايلُ بعظَمةٍ في



أليس في بستان الزهور الحيَّة

الفضاء . فقالت لها أليس :

ـ آه ، أيَّتُها الزَّنبقةُ ، ليتَ بإمكانِكِ أن تتكلّمي !

ـ أنا أستطيعُ ، لكنّي لا أرى من أتحدّثُ معه .

ودُهِشَت أليس كثيراً عندما سمعتْ هذا من الزَّنبقة ، حتى عَجَزَت عن النُّطق . لقد شَعرت وكأن هناك شيئاً يقبِضُ أنفاسَها . وظلَّت أليس على حالها هذه بْضعَ دقائق ثم تمالكتْ نفسها وعاوَدَتْها قدرتُها على الكلام . وبينما كانت الزنبقةُ تتمايلُ في الهواءِ بخُيلاء ، همست إليها أليس وفي صوتها نَبرةٌ من الخوفِ الظاهر :

ـ هل بِوُسعِ جميع الأزهار هنا أن تتكلم ؟

ـ نعم ، بمثلِ ما تتكلّمين ، وأكثرَ من ذلك أيضاً .

وهنا قالت الوردة :

ـ ليس من العادةِ أو اللّياقة أن نبدأ نحنُ الحديث ، وقد كنتُ انتظرُ لأرى متى ستبدئين حديثَكِ أنت ! لقد قلت في نفسي : إن وجْهها ينِمُّ على الفهم ، ولكنه ليس الفهمَ الذكيّ ! ومع هذا ، فإن لونَ بَشَرَتِكِ هو اللونُ الصحيح .

واعترضت الزنبقةُ :

ـ أنا لا يهمُّني اللونُ . لو أن التُّوَيجاتِ كانت أكثرَ التفافاً ، ولو قليلاً ، لكانت متكاملةً تماماً .

ولم يُعجِب أليس هذا الانتقادُ الذي وُجِّه اليها ، لذلك أخذت في إلقاء الأسئلة :

ـ ألا تشعرانِ أحياناً بالخوفِ لكَوْنِكما مزروعتَين هنا ، وليس من أحدٍ يهتمُّ بكُما ؟

ـ هناك الشجرةُ في الوسط ، وما نفعُها لغيرِ ذلك ؟

ـ وما الّذي يمكنُها ان تفعلَه إذا ما وقَعَ الخطر ؟

ـ بإمكانها أن تُعْوِل .

وأضافت زهرةُ الربيع : « بوف ـ ووف ! » وصرخت واحدةٌ أخرى : « أتجهلينَ ذلك ؟ » .

وهنا بدأت جميعُ الأزهار تصرُخُ مجتمعةً ، حتى بدا وكأن الجوَّ قد امتلأ بأصواتٍ ثاقبة . مما جعل الزنبقةَ تصيح : « الصمتَ ، إلْزمنَ الصمتَ جميعاً » .

وكانت تتمايلُ بانفعالٍ كبير ، من جانبٍ إلى آخر ، وهي ترتجفُ باهتياج .

أخذت أليس تسكِّنُ من رُوعِها ، وهي تحدِّثها بصوتٍ لطيفٍ هادىء ، ثم انحنتْ على زَهرات الربيع ، التي كانت قد بدأتْ الصُّراخ من جَديد ، فهمستْ لها :

« إذا لم تكفِّي عن هذا الصُّراخِ وتُمسكي لِسانَكِ ، فسوف أبدأُ بالتقاطِك ! » .

صمتَ الجميعُ دقيقةً واحدة ، لم يُسمَعْ أيُّ صوت ، بل لقد حال (انقلب) عددٌ منها من اللونِ الزهريّ إلى اللون الأبيض . وقالت الزنبقة :

ـ هذا صحيحٌ ! إن زهراتِ الربيع لهي أسوأُ الجميع . فما تكادُ الواحدةُ منها تبدأُ الحديثَ حتى يشاركَها الجميعُ في ذلك .

وسألتها أليس :

ـ كيف حدَثَ أنكِ تتحدَّثين بهذا الشكلِ الجميل ؟

قالت ذلك على أملٍ ان تحسِّنَ من مِزاجِها عن طريق إطرائها . ثم أضافت : « لقد ذهبتُ إلى بساتينَ كثيرةٍ من قبلُ ، ولم أجدْ هناك إحدى الأزهار تتكلم ! » .

فقالت الزنبقة :

ـ ضعي يَـدَكِ إلى أسفـل ، والمَسي بهـا الأرضَ ، عندئذٍ ستعلَمين لماذا .

وفعلت أليس كما قالت الزنبقةُ ثم قالت :

ـ الأرضُ صلبة ، وما العلاقةُ بين هذا وذاك ؟

ـ آه . . إن الـزُرّاعَ يجعلون الأحواضَ ليِّنـةً جداً في مُعظمِ البساتين ، حتى تظلّ الأزهارُ راقدةً بها .

وبدا هذا الجوابُ مقْنِعاً لأليس ، وسُرَّت به كثيراً . فهي لم تفكّر به من قبلْ ! ولاحظت الوردةُ ذلك فقالت :

ـ في رأيي ، أنتِ لا تفكّرين أبداً .

وقالت البنفسجة :

ـ أنا لم أرَ في حياتي امرءاً أغْبَى منكِ أبداً .

قالت ذلك بصوتٍ مفاجىء حتى إن أليس قَفَزَت عن الأرضِ من المفاجأة : فالبنفسجة ما تكلّمت من قبلُ .

وصرخت فيها الزنبقةُ موبّخة :

ـ امسِكي لسانَك ! وهل رأيتِ أحداً من قبل ؟ أبقي رأسَك تحتَ ورقاتك ، واشخُري هناك حتى لا تعلمي شيئاً عن هذا العالَمِ أكثرَ من أنك بُرْعمَ !

وفضّلت أليس تجاهلَ ملاحظةِ الوردةِ فسألت :

ـ هل يوجد أحدُ سوايَ في هذا البستان ؟

فأجابت الزّنبقة :

ـ هناك وردةُ أخرى ، فقط ، في البستان بإمكانها أن تتحـرَّكَ وتنتقِلَ مِثلَكِ ، وأنـا أعجبُ كيف تفعلين ذلك . ولكنَّها أكثرُ كثافةً منك .

فقالت أليس بلهفة : « وهل تُشْبِهني ؟ » ، إذ بادرتهـا فكرةُ أن تكونَ هنـاك فتاةٌ صغيـرةٌ أخرى في مكـانٍ ما من البستان ! وجاءها الجواب من الوردة :

ـ نعم ، ولها نفسُ شَكْلِكِ البَشِع هذا ، لكنَّها أكثرُ احمراراً . أما تُوَيجاتُها فهي أقصَر ، كما أظن .

وقاطعتها الزنبقةُ قائلة :

إن تُـوَيْجاتهـا اكثرُ تجمُّعـاً ، وليست مبعثـرةً في كـل مكان ، مثل تويجاتك .

ولكن الوردةَ أضافت برِفق :

ـ ولكن هـذه ليست غَلْطَتَكِ ، لقـد بـدأت تَفْقِـدين

وعيَك : وأنتِ تعلمين أنه ليس بإمكانِ أحدٍ ان يمنع التُويجاتِ من أن تَتَبَعْثَرَ قليلاً .

لم تَرُقْ هذه الفكرةُ لأليس أبداً . ولكي تغيِّر موضوعَ الحديث ، سألتْ ما إذا كانت الفتاةُ تتردَّدُ على البستان . فأجابتها الوردة :

ــ سوف تَرَيْنَها . إنها واحدةٌ من النوعِ الشائك .

ــ وأين تلبَسُ الأشواك ؟

ــ لماذا ! حَوْلَ رأسِها ، بالطبع . وأنا أعجبُ لماذا لا أرى لكِ شوكاً مثلَها أيضاً . كنتُ أظنه شيئاً عاديّاً .

وصرخ العُلّيق :

ــ ها هي مُقْبِلة ! إنني أسمعُ صوتَ أقدامِها وهي تسيرُ فوقَ الحصباء !

ونظرت أليس فيما حولها بلهفة ، فوجدت أنها الملكةُ الحمراء . لقد نَمَتْ كثيراً ! هذا أولُ ما لاحظَتْهُ أليس . وهي تذكُر أنها عندما وَجدَتْها مِن قبلُ في الرماد ، لم يكن طولُها يزيدُ عن ثلاثة إنشات . أما الآن ، فها هي أطول من أليس نفسِها بنصف رأس .

ولاحظت الوردةُ الاستغرابَ في وجه أليس فقالت :

ــ الهواءُ الطلقُ يصنع ذلك . يا له من هواءٍ منعش !

وقالت أليس :

أعتقدُ أنني سأذهبُ لمقابَلتها . ومع أن هذه الأزهارَ الجميلةَ مثيرةٌ جداً للاهتمام . . لكنّها في الواقع ملكةٌ حقيقيَة .

فاعترضت الوردة :

ــ ليس بإمكانكِ عملُ ذلك ، وأنا أنصحك أن تسيري في الطريق المخالفِ لِطريقها .

وبدا هذا الحديثُ سخيفاً لا معنى له عند أليس . لذا فإنها لم تردَّ بشيء ، بل ذهبتْ الملكةِ الحمراءِ على الفور . وكان لَدهشتها ، انها فقدَتْ أثَرَها ولم تعدْ تراها أمامها في لحظةٍ واحدة .

وقد تراجعت أليس وهي غاضبةٌ قليلاً . ثم أخذت تنظرُ في كلِّ مكانٍ حتى تمكّنت من رؤيتَها في النهاية ، على مسافةٍ بعيدة منها . ففكرت بأنها سوف تحاولُ السَّيرَ هذه المرّة ، في الاتجاهِ المقابل .

ونجحت خِطةُ أليس الجديدةُ نجاحاً باهراً . إذ أنها لم تَسِرْ سوى دقيقةٍ واحدةٍ حتى وجدت نفسها وجهاً لوجه مع الملكة الحمراء .

كانت التلةُ تظهرُ أمامها بكلِّ وُضوح ، نفسُ التلةِ التي حاولت طويلاً ان تَصِلَ إليها . وسألتها الملكة :

ــ مِن أين أتيتِ ؟ وأين أنت ذاهبة ؟ أُنظري إليَّ ، وتكلّمي بهدوء ، لا تعبثي بأصابعكِ دائماً .

استمعتْ أليس لكلِّ هذه التعليمات ، وأخذتْ تُوضحُ للملكة ، بأفضلِ طريقةٍ ممكنة ، أنها فقدتْ طريقها .

ــ لست أفهمُ ماذا تعنين بكلمة « طريقِك » . ان جميعَ الطرق الموجودةِ ههنا مِلكي ، ولكن . لماذا حضرتِ أنتِ إلى هنا على الإطلاق ؟ انحني باحترامٍ وأنتِ تفكّرين بالجواب . إن ذلك يوفِّرُ الوقت .

تساءلت أليس قليلاً عن هذا ، وكانتْ خائفةً كثيراً من أن لا تصدِّقَها الملكة ، فقالت لنفسها « سوف أُحاولُ ذلك عندما أذهبُ إلى البيت » . لكنّ الملكةَ انتهرَتْها :

ــ لقد حان الوقتُ لِتجيبي الآن . إفتحي فمكِ أوسعَ قليلاً عندما تتكلّمين ، ويجبُ أن تقولي دائماً « يا صاحبة الجلالة » .

ــ لقد أردتُ رؤ ية البستان ، يا صاحبة الجلالة .

ــ هذا صحيح .

قالت الملكةُ هذا وهي تربّت على رأس أليس ، مع أن أليس لم تكنْ تريدُ ذلك أبداً . ثم أضافت :

ــ ولو أنكِ تُبالغين عندما تقولين « بستان » . لقد رأيتُ بساتينَ لو قُورِنَتْ مع هذا لكانَ مجردَ غابةٍ .

لم تجرُؤْ أليس أن تناقشَ هذه النقطة ، بل واصلت حَدِيثها قائلة :

ــ فحاولتُ أن أجدَ طريقي إلى قمة التلَّة . و . .

فقاطعَتْها الملكةُ بقولها :

ــ أنتِ تُبالِغين عندما تقولين « تلّة » فأنا مستعدةٌ أن أُريكِ تِلالاً ، إذا ما قورنت بهذه التلّة ، فإنّك ستسمينها وادياً وليس تلّة .

كـلا ، سوف لا أفعـلُ ذلـك ، ان التلّةَ لا يمكنُ أن تُصبح وادياً ، كما تعلمين . إن ذلك هُراء .

فهزت الملكة برأسها ، وقالت :

ـ بِوُسعكِ أن تقولي ذلك ، إذا شئت . لقد سمعتُ هُراءً إذا ما قورن بهذا ، فإنه يكون معقولاً كالقاموس !

انحنت أليس مرّةً أُخرى احتراماً لصاحبة الجلالة ، لأنها كانت تخافُ من لسانها السَّليط ، مع أنها شعرتْ أنها قد أُهينت . وهكذا سارتا سَويّاً وهما صامِتتان إلى أن وَصلَتا إلى قمة التلّة .

هنـاك وقفت أليس دون أن تنطقَ بكلمـة ، وأخذت تنظرُ في جميع الاتجاهات الى الريف ـ وكان ذلك الريفُ من أعجب ما رأته أليس . لقد رأت فيه بضعةَ جداولَ تسـيرُ من جانبٍ إلى آخر ، وكانت الأرضُ فيما بينها مقسَّمةً إلى مربعاتٍ بعـددٍ من الحواجـز تصلُ من جـدولٍ إلى آخر .
وقالت أليس أخيراً :

ـ إنها مخطَّطةٌ مثل لوحة الشطرنج ! ويجب ان يكونَ عليها بعضُ رجالٍ يتحركون في مكانٍ ما ، وإنهم لَكذلِك حقاً !

ثم أضافت بصوتٍ مَلأه السرور ، والحماسة :

ـ إنها لَمباراةُ شطرنجٍ عظيمةٍ هذه التي يلعبُها هؤلاء الرجالُ في جميع أنحاء العالم ، إذا كان هذا هو العالم حقاً . كم هو مسلّياً ! كم أتمنّى لو كنتُ واحدةً منهم ! ولا أُمانعُ ان أكـونَ البيـدقَ الضعيفَ في البـدء . آه لـو تمكنتُ من مشاركتهم ! وأفضّلُ أن أكون الملكةَ فيهم .

وقـد نظرت بخجـلٍ إلى الملكة الحقيقيـة وهي تقول ذلك ، لكنَّ رفيقتها ابتسمت بمرحٍ وقالت :

ـ يمكنُ تـرتيبُ ذلك بسهـولة . يمكنـك ان تصبحي بَيدَقَ الملكةِ الضعيف ، إذا أردتِ . ان الزنبقةَ صغيرةٌ جداً لِتقـومَ بهذا الـدَّور ، وها أنت تَقفـينَ في المربـعَ الثـاني : وعندما تصلين إلى المربع الثامن تُصبحين الملكة .

كل ما ذكرتْه أليس عند ذاك أنها كانت تَجري ويدْهـا بيـدِ الملكة ، وان الملكـةَ كانت سريعةً في جرْيها حتى إن أليس عملت جهدها لِلحاقِ بها . ولكن الملكـةَ ، ظلّت تصرخ قائلة : « أسرَع » « أسرَع » . غير أن أليس شعرت أنه لم يعدْ بمقدورها السيرُ بأسرعَ من ذلك حتى لم يَبقَ لديها نفسٌ كافٍ للاعتراض .

أما أغربُ شيءٍ في ذلك كلِّهِ فهو أن الأشجار والأشياء الأُخرى المحيطة بهما لم تغير مواقعها أبداً ، فأيُّ نـوعٍ من الركض كانتا تفعلان !

وقالت أليس لنفسها : « إنني لأعجبُ إذا ما كانت جميعُ الأشياءِ تتحرّك معنا ؟ » .

وكان يبدُو وكأن الملكةَ كانت على معرفةٍ بما يدور في خلدِ[1] أليس من الأفكار، إذ أنها صَرَخَتْ قائلة : « أسرِعي، ولا تحاولي الكلام ! » .

وشعرت أليس أنها لن تتمكّنَ من النُّطقِ أبداً من شدّةِ التَّعب ، وأخذت تَلهث . ومع ذلك واصلت الملكةُ صراخَها قائلة « أسرِعي ! أسرعي ! » وأخذت تجرُّها خُلْفَها .

ثم إن أليس المسكينةَ جمعت أنفاسها بما يكفيها أن تسأل : « هل وصلْنا ؟ هل وصلنا ؟ » فردَّت الملكة : « تقريباً . أسرعِي » . وهكذا ظلّتا تَجريان صامتتين . وكان الهواءُ يصفُر في أذني أليس ، ويعصفُ بشعرها .

وصرخت الملكة ، « الآن ! الآن ! أسرعي !

---

(1) الفكر .

أسرعي ! » . وواصلتا السيرَ بسرعةٍ زائدةٍ حتى بَدَتا أخيراً وكأنهما تطيران في الهواء . فبالكاد كانت أقدامهما تطأ الأرض . ثم إنهما توقّفتا فجأة ، في الوقت الذي باتت فيه أليس منهوكةَ القوى تماماً ، حتى لقد وقعت الأرض ، لاهثةً وهي تشعرُ بالدُّوار .

أسندتها الملكةُ على جِذع شجرة ، واقلت لها بعطف : « يمكنُك أن تستريحي قليلاً الآن » .

نظرت أليس فيما حولَها بدهشةٍ كبيرةٍ وهي تقول :

ما هذا ! أعتقدُ أننا ظللنا نجلسُ تحت هذه الشجرةِ طوال الوقت ! كلّ شيء بقي على ما هو عليه !

ـ بالطبْع ، إنه لكذلك . وماذا تُريدينه يكون إذنْ ؟ هذه هي الحياةُ يا فتاة . تركضين وأنتِ مكانك .

ـ حسناً ، لو كنتُ في بلدنا ، لكنتُ قد وصلْتُ إلى مكان آخر ، بعد كلِ هذا الجري ـ وخصوصاً إذا جريتُ بسرعةٍ كبيرة لفترةٍ من الوقت ، كما فعلنا .

ـ ان بَلَدَك الذي تصفينه لهو من النوع البطيء ! ها

أنتِ تَرَيْن أنه يَلزمُك أكثرَ مما تستطيعين من السرعةِ حتى تظلّي في نفسِ المكان ! أما إذا أردت الذهاب إلى مكانٍ آخر ، فإن عليك ان تسيري بمعدّل ضعفِ سرعتك هذه .

ـ أنا أُفضلُ ألا أحاول ذلك ، من فضلك ! إنني راضيةٌ تماماً بالبقاء هنا ـ ولكنني أشعرُ بحرارة شديدة ، وبالعطش !

ـ أنا اعرفُ ما تريدين ! خذي بسكوتةً فهي تسدُّ جُوعَك وعطشك .

قدّرت أليس أنه ليس من الأدبِ أن ترفض ، على الرُّغمِ من أنها لم تكنْ تحبُّ البسكوت . لذلك ، تناولت واحدة ، وأكلتها . وكانت البسكوتةُ جافة جِداً لا تذكرُ أليس أنها قد شعرت بالاختناق أثناءَ الأكلِ مثلَ ما تشعرُ الآن . وقالت الملكة :

ـ سوف أُقوم بأخذِ القياسات بينما تجدّدين نشاطك .

ثم أخرجت شريطاً من جَيبها ، معلَّماً بالإنشات ، وبدأت تقيسُ الأرض ، وتغرزَ أوتاداً صغيرةً هنا وهناك . وفيما هي تدقُّ أحدَ الأوتادِ التفتت وقالت :

ـ خذي بسكوتة أخرى يا فتاة ؟

ـ كلا ، أشكرُكِ . إن واحدةً تكفي تماماً !

ـ أرجو أن يكونَ العطشُ قد انطفأ الآن

لم تدرِ أليس بماذا تردُّ على ذلك . وكان من حُسنِ الحظ ان الملكةَ لم تنظر الجوابَ على سؤالها ، بل واصلت تقول : « وفي نهاية ثلاث ياردات ، سوف أُعيدُ هذه التعليمات عليك ـ خوفا من نِسيانك لها . عند نهاية الأربعةِ ياردات ، سوف أقول إلى اللقاء . وفي نهايةِ اليردِ الخامس ، سوف أذهب ! » .

وحين وصلت الملكةُ إلى وتد اليارْدَين استدارت وقالت :

ـ يسيرُ البيدقُ مسافةَ مربّعين في الخطوة الأولى . ثم تَسيرين بسرعةٍ كبيرة من خلال المربع الثالث ـ بطريق السكةِ الحديد ، كما أعتقد ـ وسوف تجدين نفسك في المربع الرابع في أسرعِ وقت . وهو يخصُّ « حَيزبوني ميزبوني » . أما الخامس ، فمعظمُه مغطّى بالمياه . وأما السادسُ فهو يخصّ هَمبتي دمتي . أما المربع السابعَ فهو غابة ، ومع

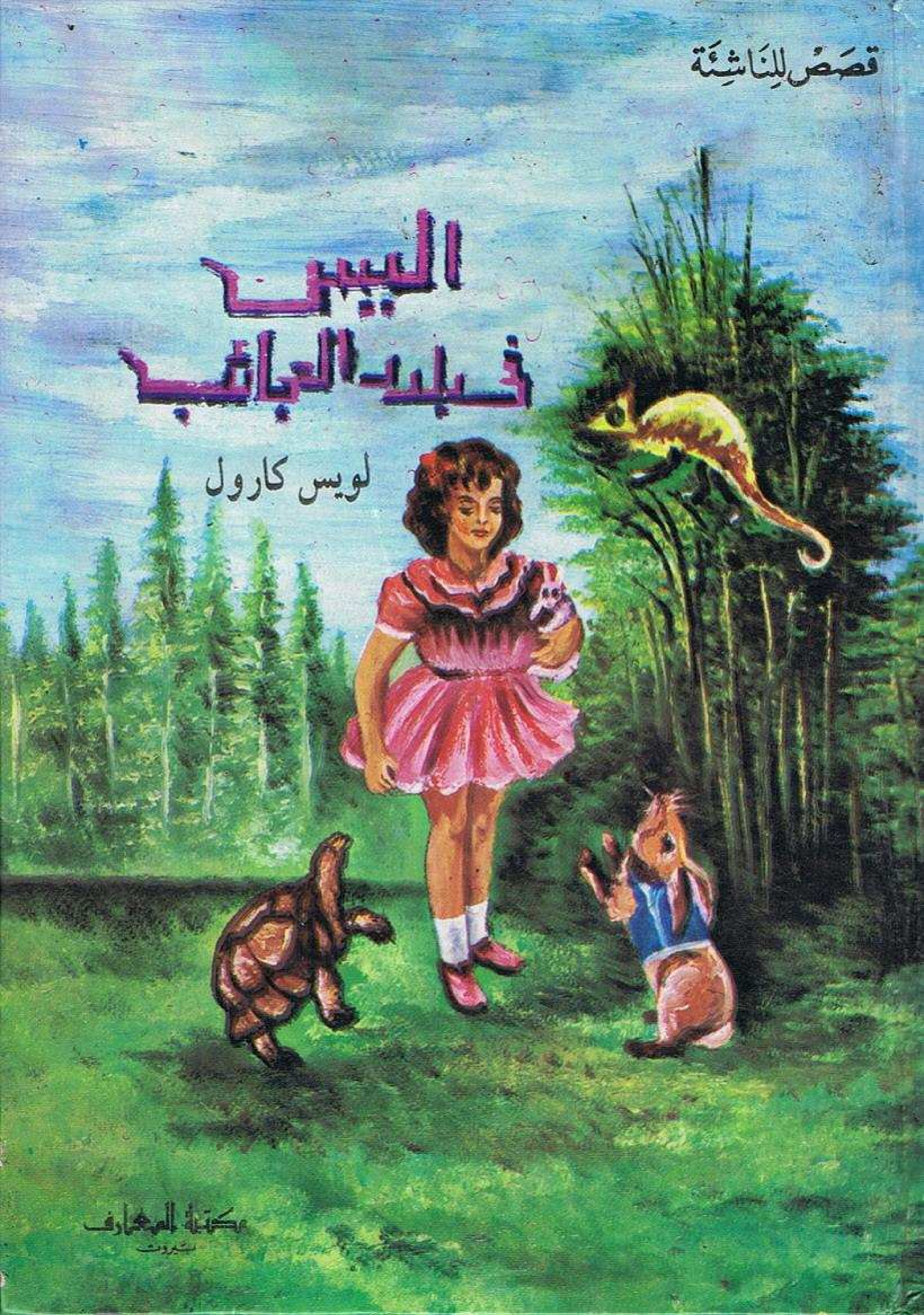
هذا ، فإن أحدَ الأفراسِ سوف يدلُّك على الطريق . وأما في المربّع الثامنِ فسوف نُصبح ملكتَين ، ويصبح كلُّ شيءٍ متعةً ولَهواً !

ولم تنتظرْ من أليس ان تنحنيَ احتراماً لها ، هذه المرّة ، بل ذهبتْ بسرعةٍ إلى الوتدِ التالي ، حيث استدارت لتقولَ « إلى اللقاء »، ومن ثم أسرعت إلى الوتدَ الأخير .

كيف حدث ذلك !! لم تعلم أليس أبداً ، ان كلَّ ما كانت تعلمه هو أنه عندما وصلت الملكةُ في سيرِها إلى الوتد الأخير ، كانت جلالتُها قد اختفت تماماً .



فهرس


قصص للناشئة
أليس في بلد العجائب
لويس كارول
مكتبة المعارف
بيروت